كـلية الآداب بقنـا

قسم الدراسات الإسلامية

دراسات في أصول العقيدة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنـة

إعداد

أ.د. ماهـر عـيد عـلي إبراهيم

أستاذ الفقه بقسم الدراسات الإسلامية

استاذ المقرر

د/ لبنى أحمد كمال الشعراوي

مدرس العقيدة قسم الدراسات الإسلامية

للعام الجامعي

٢٠٢٣/٢٠٢٤م

بيانات الكتاب

الكلية: الآداب

الفرقة: الأولى

التخصص: العقيدة الإسلامية (إلهيات)

تاريخ النشر: ٢٠٢٣م / ٢٠٢٤م

عدد الصفحات: ١٦٤

أستاذ المادة: د/ لبنى احمد كمال الشعراوي

المحتوى :

المقدمة: .....

الباب الأول: تناولت فيه تعريف العقيدة لغة واصطلاحًا، ويشتمل على الفصول التالية:

الفصل الأول: معنى العقيدة لغة واصطلاحا .....

الفصل الثاني: سمات العقيدة الإسلامية .....

الفصل الثالث: فضل شهادة التوحيد .....

الفصل الرابع: مفهوم العبادة في الإسلام .....

الفصل الخامس: الإيمان .....

الفصل السادس: الشرك وأنواعه .....

الفصل السابع: صفات الكمال الواجبة لله تبارك وتعالى .....

الفصل الثامن: بالإيمان بالملائكة .....

الفصل التاسع: الإيمان بالرسل والأنبياء .....

الفصل العاشر: الإيمان بالكتب السماوية المقدسة .....

الفصل الحادي عشر: المعجزة .....

الفصل الثاني عشر: الإيمان بالقضاء والقدر .....

الباب الثاني: الصفات الخبرية : .....

المراجع : .....

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على مبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أمـا بعــد؛؛؛

فإن علم أصول الدين من أشرف أنواع العلوم قاطبة؛ لأنه يتناول أشرف الموضوعات وأهمها في حياة الإنسان ألا وهي قضايا الإيمان بالله ـ عز وجل ـ وإفراده بالواحدنية والعبودية، والخلق والرزق والأجل والإيمان بملائكته المقربين وبرسله المعصومين، وكتبه المقدسة والإيمان باليوم الآخر وما فيه من أهوال من بعث وحشر وصراط وميزان وجنة ونار والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره وحلوه ومره .... ، وفي ظل العقيدة الصحيحة الخالية من الشرك والشك والنفاق والرياء يفوز المرء بسعادة الدارين الدنيا والآخرة .

وهذه دراسة ميسرة في مادة " أصول الدين " قمت بإعدادها لطلاب الفرقة الأولى بقسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب ـ بقنا، واستملت على بابين :

الباب الأول:

تحدثت فيه عن مفهوم العقيدة لغة واصطلاحا، وخصائص العقيدة الإسلامية وأثر العقيدة على تربية النفس والمجتمع ومفهوم العبادة في الإسلام، وتوحيد الله عز وجل في الأسماء والصفات والإيمان بالرسل والملائكة والكتب السماوية المقدسة.

الباب الثاني:

أفردت الحديث عن الإيمان باليوم الآخر وأدلته من الكتاب والسنة المطهرة، فبينت العلامات الصغرى والكبرى لمجيء يوم القيامة، ثم عرفت الموت وخروج الروح إلى بارئها، وعذاب القبر ونعيمه؛ ثم البعث والحشر والصراط والميزان والجنة والنار.

والهدف من دراسة هذا المنهج يتمثل فيما يلي:

١) غرس العقيدة الصحيحة السليمة في نفوس الطلاب .

٢) توضيح المصادر الشرعية التي يستمد المسلم منها عقيدته والمتمثلة في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فهما النبع الصافي لبيان العقيدة الصحيحة الخالية من شوائب الشرك والشك.

٣) أن يتقن الطلاب أثر العقيدة الصحيحة على النفس والمجتمع، فعلى النفس تربية الضمير ويقظته والخوف من المولى ـ عز وجل ـ وإخلاص العمل وإتقانه.

أما أثر العقيدة على المجتمع: فنجد أن المجتمع المتماسك بالعقيدة الصحيحة مجتمع تسوده روح المودة والمحبة والتعاون والإخاء بين أبناء الأمة الإسلامية جمعاء، فالأمة الإسلامية أمة واحدة كما قال عز وجل: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" (١) .

وقال تعالى: " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا " (٢).

ومن أثر العقيدة على النفس والمجتمع معًا التحلى بالفضائل ومكارم الأخلاق والتخلى عن الرذائل والأخلاق الذميمة.

وندعو المولى ـ عز وجل ـ أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينتفع به طلاب العلم والمعرفة.

(رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) (٣).

إعـــداد/

أ.د/ ماهر عيد علي إبراهيم

أستاذ بقسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب بقنا

---

١ – سورة آل عمران، الآية (١١٠) .

٢ – سورة البقرة ، الآية (١٤٣) .

٣ – سورة آل عمران ، الآية (٨) .

الفصل الأول

معنى العقيدة

تعريف العقيده فى اللغة :

جاء فى المصباح المنير عقدت الحبل عقداً من باب ضرب فانعقد، والعقدة ما يمسكه ويوثقه، ومنه عقدت البيع ، وعقدت اليمين ، وعقدتها بالتشديد توكيد ، وعاقدته على كذا وعقدته عليه بمعنى عاهدته . واعتقدت كذا عقدت عليه القلب والضمير ، حتى قبل العقيده مايدين الإنسان به وله عقيدة حسنة سالمه من الشك [١] .

فى الإصطلاح :

هى تصميم القلب والإعتقاد الجازم الذى لايخالطه شك فى أمور الإعتقاد كالالهيات والنبوات والسمعيات وغيرها مما يجب الإيمان به .

وقيل هى : "الأمور التى يجب أن يصدق بها القلب وتطمئن إليها النفس وتكون يقيناً لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك " [٢] .

فالعقيدة هى الايمان بحقيقه معينه إيماناً قطعياً لايقبل الشك . وقد تكون العقيدة دينية يؤمن معتقدها بأفكار معينة تتصل بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وقد تكون عقيدة سياسية أو اقتصادية . وقد تكون هذه العقيدة مبنية على العقل والمنطق .

فالعقيده : هى الأمر الذى يصدق به النفس ويطمئن إليه القلب ويكون يقيناً عند صاحبه لا يمازجه شك ولا يخالطه ريب [٣].

---

١ – المصباح المنير كتاب العين مادة عقد صـ١٦٠ ، المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى مادة عقد صـ ٣٤١ .

٢ – رسالة العقائد للإمام الشهيد حسن البنا صـ ٣٧٩ .

٣ – العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة د/ أحمد السيد على رمضان صـ ١٣– ١٤ .

فمن أجل هذه العقيدة أرسل الله تعالى رسله مبشرين ومنذرين وأوحى إليهم الدين الحق والعقيدة الصحيحة.

فهى أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل قال تعالى عن نوح عليه السلام { لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّـهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ } [١] .

وقال هود عليه السلام { اعْبُدُوا اللَّـهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ } [٢] .

وقال صالح عليه السلام { اعْبُدُوا اللَّـهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ } [٣].

وقال شعيب عليه السلام لقومه { اعْبُدُوا اللَّـهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ } [٤] .

وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّـهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } [٥].

ودعا إليها رسول الله فقال : " اَمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله " . فهذه الشهاده هى أول ما يدخل بها المرء فى الإسلام واَخر مايخرج منها ، فقال :" من كان اَخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة " .

فالعقيدة هى مجموعة من قضايا الحق المسلمة بالسمع والعقل والفطرة، يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثنى عليها صدره جازماً بصحتها قاطعاً بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أن يصبح أو يكون أبداً .

---

١ – سورة النحل ، الآية (٣٦) .
٢ – سورة الأعراف ، الآية (٨٥) .
٣ – سورة الأعراف ، الآية (٧٣) .
٤ – سورة الأعراف ، الآية (٦٥) .
٥ – سورة الأعراف ، الآية (٥٩) .

وذلك كاعتقاد الإنسان بوجود خالقه، أو علمه به وقدرته عليه ولقائه بعد موته ونهاية حياته، كاعتقاده بوجوب طاعته فيما بلغه من أوامره ونواهيه عن طريق كتبه ورسله، طاعه تذكو بها نفسه، وتتهذب بها مشاعره، وتكمل بها أخلاقه وتنظم بها علاقته بين الخلق والحياة، كاعتقاده بأن الله غنى عنه، وافتقاره إليه وفى كل شأن من أنفاسه التى يرددها، فبالله تعالى حياته وهو غايته وعليه وحده توكله واعتماده، إذ هو محط رجائه .

الفرق بين العقيدة والاعتقاد :

الاعتقاد مصدر اعتقد كذا، أى اتخذه عقيدة له، بمعنى عقد عليه الضمير والقلب ودان لله به ، وأصله من عقد البيع ، ثم استعمل فى التعميم والاعتقاد الجازم[١]. والاعتقاد له معنيان : أحدهما عام والآخر خاص .

فالاعتقاد بالمعنى العام : يطلق على الرأى والظن ويشتمل على درجات متفاوته من الرجحان .

والاعتقاد بالمعنى الخاص : يطلق على الثقة برأى الشاهد أو على الركون إلى قول عالم حصل التصديق بقوله لأسباب خارجية ون أن تفحص مباشرة [٢].

والاعتقاد الجازم : يطلق على التصديق وعلى مايعتقده الإنسان من أمور الدين .

والاعتقاد فى المشهور : هو الحكم الذهنى الجازم القابل للتشكيك بخلاف اليقين، وإذا كان الاعتقاد مطابقاً للواقع كان صحيحاً، وإذا كان غير مطابق كان فاسداً .

فالفرق بين العقيدة والاعتقاد يتمثل فيما يلى :

أولاً: إن العقيدة هى اعتقاد جازم مطابق للواقع لا يقبل شكاً ولا ظناً، وإذا لم يصل العلم بالشىء إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة .

---

١ – العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة صـ ١٧ .

٢ – شرح العقيدة الوسطية د/ محمد خليل هراس صـ ١٣ .

ثانياً: إذا كان الاعتقاد غير مطابق للواقع، والحق ثابت، ولا يقوم على دليل فهو ليس عقيدة صحيحة سليمة وإنما هو عقيدة فاسدة .

ثالثاً: إن متعلق الإيمان والاعتقاد هو الذى يسمى عقيدة فعقيدتى مأؤمن به، فأنا أؤمن بوجود الله. أما التصديق بوجود الله اعتقاد، وأنا أؤمن بوحدانية الله، أما التصديق بوحدانية الله اعتقاد. ومن هنا جاز أن نقول العقائد هى وجود الله ووحدانيته وهذه العقائد جاء أكثرها فى قول الله تعالى : {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ }[١].

وقول النبى جواباً لسؤال جبريل عن الإيمان قال : " أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاَخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " [٢].

رابعاً : إن الاعتقاد بوجود إله يثبت بالنظر والفكر فى ملكوت السماوات والأرض وماخلق الله من شىء ، أى يثبت بالدليل العقلى لا الدليل النقلى حتى لا يترتب عليه الدور، وهو توقف الشىء على ما يتوقف على هذا الشىء وهو محظور فى عرف المناطقة، لأن الدليل النقلى من الكتاب والسنة فرع الإيمان بالله وبالكتب التى أنزلها على رسله، أم العقائد الاَخرى فثبتت بالدليل القطعى ثبوته، وفى دلالته وذلك بالقراَن والسنة، والقراَن قطعى الثبوت وكذلك قطعى الدلالة فى العقائد أم السنة النبوية فهى قطعية الثبوت فى المتواتر فيها وفى الأحاديث القوية التى لم يبلغ رواتها مبلغ التواتر [٣]. على خلاف بين العلماء فى ذلك والدلالة فى أغلبها ظنية .

أقسام العقيدة :

تنقسم العقيدة إلى قسمين:

---

١ – سورة البقرة اَية ٢٨٥ .

٢ – رواه البخارى ومسلم .

٣ – بيان الناس من الأزهر جـ ١١٩/١ .

القسم الأول: العقيدة الصحيحة: وهى التى جاء بها الرسل الكرام عليهم السلام، ولم يدخلها تحريف ولا تبديل، وهذه لا توجد إلا فى الإسلام، وهى عباره عن الأمور التى تصدق بها النفوس وتطمئن إليها القلوب وتكون يقيناً عند أصحابها لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك ، والعقائد عبارة عن الأصول فلا يطرأ عليها تغيير أو تبديل؛ لأن مصدرها الله تعالى، ولذا تكفل الله بحفظها فى قوله تعالى [١].

القسم الثانى: العقيدة الفاسدة: وهى المحرفة لأن التبديل الذى يطرأ على الشىء يغير حاله أو يقلبه إلى شىء آخر يجعله فاسداً ، وعلى هذا فالإعتقاد الفاسد يكون اعتقاداً غير جازم والذى يعتقد اعتقاداً فاسداً لايجزم به ونجد هذا واضحاً فى العقيدة اليهودية والنصرانية المحرفة؛ لأنها حرفت عقيدتها وبدلتها فأصبحت غير مطابقة للواقع وأصبح اعتقادها فاسداً نتيجة للتبديل والتحريف ويدل على تحريفها قوله تعالى: " يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ" [٢]، فالاعتقاد الفاسد هو الناتج عن التبديل والتحريف، كما يندرج تحت هذا القسم أيضاً العقائد الفاسدة التى هى من وضع البشر؛ لأن علمهم محدود ومقيد ومتأثر بما حولهم من عادات وتقاليد وأفكار، وبذلك يكون مصدر العقائد الفاسدة الأفراد [٣].

جوهر العقيدة فى الديانات السماوية :

جوهر العقيدة فى الديانات السماوية هو التوحيد ومعناه أن الله واحد لا شريك له هذا التوحيد هو أول دعوه للرسل وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل، فالرسل عليهم السلام دعوا أقوامهم جميعاً إلى عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له فنجد هوداً وصالحاً

---

١ – سورة الحجر آية ٩ .

٢ – سورة المائدة، آية (٤١).

٣ – العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة صـ ٢١ .

وشعيباً قالوا لقومهم: {اعْبُدُوا اللَّـهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ } [١]. وقال تعالى : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّـهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } [٢].

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت رديف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : " يا معاذ هل تدرى ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله فقلت الله ورسوله أعلم قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً ، فقلت يارسول الله : أفلا أبشر به الناس قال : لاتبشرهم فيتكلوا " [٣].

كما قال :" نحن معاشر الأنبياء أخوه لعلات ديننا واحد " ، يعنى بذلك التوحيد الذى بعث الله به كل رسول أرسله وضمنه كل كتاب أنزله .

وحدة العقيدة فى الديانات السماوية :

العقيدة التى أرسل الله تعالى بها رسله وأنزل لها كتبه عقيدة واحدة لا تتبدل ولا تتغير ويدل على ذلك مايلى :

أولاً : قوله تعالى : {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ } [٤].

أى سن لكم أيها المؤمنون من الدين الحنيف ماوصى به الرسل من قبل من أصول العقائد وقواعد الإيمان لا فروع الدين وشرائعه العمليه فإن لكل أمة من التشريعات العملية مايتناسب مع ظروفها وأحوالها قال تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}[٥].

---

١ – سورة الأعراف آية ٥٩ .
٢ – سورة النحل ايَة ٣٦ .
٣ – أخرجه مسلم .
٤ – سورة الشورى آية ١٣ .
٥ – سورة المائدة آية ٤٨ .

ثانياً : قوله تعالى : {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ } (١).

ثالثاً : قوله تعالى : {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (٢).

فهذه الآيات سالفة الذكر تشير إلى أن الديانات السماوية وحدة واحدة هى رسالة من الله للبشر عامة بعضها يكمل بعض وكلها تهدف إلى غاية واحدة، وإن إختلفت وسائل الوصول إليها باختلاف الناس والأزمان (٣).

علاقة العقيدة بالشريعة:

إن الدين الإسلامى هو المنهج الإلهى للبشرية جمعاء ففى ظله ينعم الإنسان بعبادة ربه الواحد الأحد الفرد الصمد وفى تعاليمه يجد المرء سعادة وطمأنينه لأنه يسير على منهج ربانى وعلى تعاليم إلهية فيها سعادته وراحته فى الدنيا والآخرة واشتمل هذا الدين على دعامتين أساسيتين هما العقيدة والشريعى.

فالعقيدة : هى الجانب النظرى الذى يطلب الإيمان به أولاً وقبل كل شىء إيماناً لا يرقى إليه الشك ولا تؤثر فيه شبهة ومن طبيعتها تضافر النصوص الواضحة على تقريرها وإجماع المسلمين عليها من يوم أن ابتدأت الدعوة مع ما حدث بينهم من اختلاف بعد ذلك فيما وراءها . وهى أول مادعا إليه الرسول وهى دعوة كل رسول جاء من قبل الله كما دل على ذلك القرآن فى حديثه عن الأنبياء والمرسلين .

---

١ – سورة البقرة آية ٢٨٥ .

٢ – سورة البقرة آية ١٣٦ .

٣ – العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة صـ ٢٥ .

أم الشريعة : فهى النظم التى شرعها الله أو شرع أصولها ليأخذ الإنسان بها نفسه بعلاقته بربه وعلاقته بأخيه الإنسان وعلاقته بالكون وعلاقته بالحياه .

العقيدة والشريعة فى تعبير القرآن :

عبر القرآن الكريم عن العقيدة بالإيمان وعن الشريعة بالعمل الصالح وجاء ذلك فى كثير من آياته الصريحة {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا } (١).

وقال تعالى : {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (٢).

قال تعالى: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}(٣). وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (٤).

ومن هنا لم يكن الإسلام عقيدة فقط ولم تكن مهمته تنظيم العلاقة بين الإنسان وربه فقط وإنما كان عقيدة وشريعة توجه الإنسان إلى جميع نواحى الخير فى الحياة .

العقيدة أصل والشريعة فرع :

فالعقيدة فى الوضع الإسلامى هى الأصل الذى تبنى عليه الشريعة، والشريعة أثر تتبعه العقيدة، ومن ثم فلا وجود للشريعة فى الإسلام إلا بوجود العقيدة، كما لا ازدهار للشريعة إلا فى ظل العقيدة ذلك؛ لأن الشريعة بدون العقيدة غلو ليس له أساس فهى لا تستند إلى

---

١ – سورة الكهف آية ١٠٧ – ١٠٨ .

٢ – سورة النحل آية ٩٧ .

٣ – سورة العصر .

٤ – سورة الأحقاف آية ١٣ .

تلك القوة المعنوية التى توحى بإحترام الشريعة ومراعاة قوانينها والعمل بموجبها دون حاجة إلى معونة أى قوة من خارج النفس [١] .

صلة العقيدة بالشريعة :

فالعقيدة والشريعة هما الدعامتان الأساسيتان لهذا الدين، ولا يكتمل بناء الدين إلا بهما معاً؛ لأن الاكتفاء بالعقيدة معناه الاكتفاء بأساس البناء، والاكتفاء بالشريعة معناه الاستغناء عن الأساس الذى لا يقوم بناء الإسلام إلا به [٢].

ويقول فضيلة الشيخ شلتوت فى كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة): الإسلام يحتم تعانق الشريعة، والعقيدة بحيث لا تنفرد إحداهما عن الاَخرى على أن تكون العقيدة أصلاً يدفع إلى الشريعة، والشريعة تلبيه لانفعال القلب بالعقيدة، وقد كان هذا التعلق طريق النجاة والفوز بما أعده الله لعباده المؤمنين .

وعليه فمن اَمن بالعقيدة، وألغى الشريعة وأهدر العقيدة لا يكون مسلماً عن الله ولا سالكاً فى حكم الإسلام سبيل النجاة .

وهكذا تتعانق العقيدة والشريعة لتكونا معاً هذا الدين الذى أكرمنا الله تعالى به، وإن كان أحد الجانبين أعظم أهمية من الجانب الاَخر، فإن العقيدة هى الجانب الأعظم الذى أعطاه الإسلام عنايته الكبرى. أولاً فى مكة المكرمة وهى مرحلة الإعداد والتكوين والتربية للأمة التى أراد الله تعالى إخراجها للناس لتكون " خير أمة "، ولتكون الأمة الوسط التى تشهد على سائر الأمم، ثم استمر الحديث عن هذه العقيدة عندما بدأت الأحكام التفصيلية تتنزل على هذه الأمة فى المدينة بعد إن أصبح لها وجود فعلى وكيان مستقل بل كانت العقيدة هى الروح الذى يسرى فى هذه الأحكام ففيها الحياة النابضة المتحركة [٣].

---

١ – الإسلام عقيدة وشريعة ص ١٠ – ١١ .

٢ – العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة ص ٦٦ – ٦٧ .

٣ – العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة ص٦٩ .

كما أن أحكام الشريعة التى وردت فى القرآن جاءت مرتبطة بالإيمان بالله واليوم الآخر ومؤسسة على التقوى وعلى العلم بصفات الله عز وجل، وأنه عليم حكيم وسميع بصير وحكيم خبير .

كما قامت على التذكير الدائب بعقد الإيمان الذى يعقده الإنسان مع الله عز وجل منذ أن يدخل الإسلام ويرضى بحكم الله تعالى، سواء كان هذا التذكير بطريق مباشر كقوله تعالى فى أوائل سورة المائدة بعد بيان حكم الله تعالى فى العقود والصيد والطعام والزواج وبعد الأمر بالوضوء والطهارة {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَاتَّقُوا اللَّـهَ ۚ إِنَّ اللَّـهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [١]. أو كان هذا التذكير بطريق غير مباشر مثل جميع آيات التكليف التى جاءت مصدرة بهذا النداء الربانى " يا أيها الذين آمنوا " .

وإذا رجعنا إلى القرآن وجدناه يعبر عن العقيدة بالإيمان وعن الشريعة بالعمل الصالح أو الإستقامة قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}[٢]. وقوله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّـهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ } [٣].

فالدين الإسلامى يشتمل على العقيدة والشريعة حيث العقيدة تمثل الجانب النظرى المعرفى والشريعة تمثل السلوكى التطبيقى والترابط والتلازم بين الجانبين يحقق التكامل[٤].

---

١ – سورة المائدة آية ٧ .

٢ – سورة يونس آية ٩ .

٣ – سورة فصلت آية ٣٠ .

٤ – العقيدة فى ضوء الكتاب ولسنة ص٧١ .

الفصل الثانى

سمات العقيدة الإسلامية

امتازت العقيدة الإسلامية بعدة مزايا وسمات من أبرزها مايلى :

أولا: أنها عقيدة الفطرة: قال تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّـهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّـهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (١). وقوله: " ما من مولود إلا ويولد على فطرة الإسلام " .

ثانياً : بأن مصدرها المولى: فالعقيدة الإسلامية مصدرها الوحى من عند الله عز وجل وليس فيها شىء من صنع البشر، وفى هذا خير للإنسان وسعادة له فى دنياه وآخره والعقيدة الإسلامية هى العقيدة الوحيدة التى تصلح لقيادة البشرية نحو الكمال؛ لأنها العقيدة الوحيدة التى مصدرها الله تبارك وتعالى ومنهج الله أقوم منهاج للحياة الإنسانية فى جميع جوانبها الإجتماعية والسياسية والإقتصادية (٢).

ولكونها ربانية فإنها تتفق مع فطرة الإنسان ولا تتناقض معها وتتفق مع العقل وتنظر إليه كأساس للتكليف وأداه للتدبير فى الكون .

ثالثاً : العموم والشمول : الدين الإسلامى دين عالمى خالد صالح لكل زمان ومكان فقد كانت الرسالات السابقة خاصة بأقوام معينين لهم زمان محدود ومكان معين فقد أرسل شعيب عليه السلام إلى مدين وأرسل هود إلى عاد وأرسل صالحإلى ثمود وأرسل موسى إلى بنى إسرائيل أما رسالة سيدنا محمد فقد كانت عامة وشاملة لكل البشر ولكل الأجناس وهذا ما أكده القرآن الكريم فى قوله تعالى {وَمَاأَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } (٣). وقوله

---

١ – سورة الروم ، الآية (٣٠) .

٢ – العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة صـ ٢٦ .

٣ – سورة الأنبياء ، الآية (١٠٧) .

تعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } [١] . وقوله تعالى {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } [٢].

والعقيدة الإسلامية توصف بالشمول أيضاً لأنها تناولت كل القضايا العقدية التى تهم الإنسان فى اَجله وعاجله حيث أجابت على كل التساؤلات التى طرحها الإنسان قديماً وعجز عن الوصول إلى الحل الصحيح بصورة واضحة فحلت قضية الألوهية وقضية الكون وقضية الإنسان وقضية النبوة وقضية المصير التى لم تحلها حلاً صحيحاً العقائد والأديان السابقة [٣]. ومن هنا كان المسلمون مأمورين بتبليغ هذا الدين إلى سائر الخلق وإلا كانوا مقصورين خارجين عن توجيهات الله سبحانه وتعالى مصداقاً لقول الله تعالى {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ } [٤].

رابعاً : الخاتمية : من أبرز سمات العقيدة الإسلامية أنها اَخر رسالات السماء إلى أهل الأرض وبعدها إنقطع الوحى وإنتهت النبوة، ومن هنا كان أخص خصائصها أنها خاتمة العقائد ونهايتها وقال تعالى {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ } [٥]. وقوله تعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } [٦].

وقال رسول الله : " مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه إلا موضع لبنة فيه فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون ويقولون هلا وضعت هذه اللبنه فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين " ، وفى حديث جابر قوله:" فضلت على الأنبياء بست أعطيت الشفاعة ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد من قبلى وجعلت لى الأرض مسجداً

---

١ – سورة الأعراف ، الآية (١٥٨) .
٢ – سورة الفرقان ، الآية (١) .
٣ – العقيدة في ضوء الكتاب والسنة، (ص٣٠-٣١) .
٤ – سورة المائدة ، الآية (٦٧) .
٥ – سورة الأحزاب ، الآية (٤٠) .
٦ – سورة الأعراف ، الآية (١٥٨) .

طهوراً فأينما رجل من أمتى أدركته الصلاه فليصل وكان كل نبى يبعث فى قومه خاصة وبعثت للناس كافة " [١].

خامساً : الخلود والبقاء : الدين الإسلامى الحنيف دين خالد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [٢].

سادساً : الإعتماد على الإقناع وحرية الفكر : نظراً لأن العقائد السابقة تجبر الناس على الدخول فيها مثل الدولة الرومانية التى خيرت الناس بين التنصير والقتل نجد العقيدة الإسلامية مبنية على الإقناع والحرية فقد أرسى القرآن الكريم هذه الخاصية قال تعالى : {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ } [٣].

فقد اكتفى الرسول بتبليغ دعوته وبيان الحق لأهل الكتاب ولم يجبرهم على قبول هذا الحق بل تركهم أحراراً إما أن يستمروا على باطلهم وإما أن يسيروا فى طريق الحق طائعين مختارين .

سابعاً : القوة الذاتية : من أهم خصائص العقيدة الإسلامية أنها تعطى قوة ذاتية، وربما يفسر لنا كيف بدأ الإسلام بعدد من الأفراد يعدون على الأصابع، ثم تطور إلى قوة كبرى فتحت الدنيا وسادت العالمين .

ثامناً : رفع الحرج والمشقة : قال تعالى:{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ } [٤].وقال تعالى {يُرِيدُ اللَّـهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ} سورة النساء [٥]، وقال تعالى { وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} [٦].

---

١ – أخرجه مسلم فى كتابه الوحى .
٢ – سورة الحجر ، الآية (٩) .
٣ – سورة البقرة ، الآية (٢٥٦) .
٤ – سورة الحج : آية ٧٨ .
٥ – سورة النساء : آية ٢٨ .
٦ – سورة الأعراف : آية ١٥٧ .

تاسعاً : تحرير الإنسان : فهذه العقيدة التى هدت إليها ودعت إليها وغرستها بقوة المنطق ونصاعة البراهين فى القلوب وهى توحيد الله عز وجل عقيدة وعبادة والتصديق بجميع الرسل، وما أنزل على بعضهم من كتب والإيمان بالبعث بعد الموت وبالحياة الاَخرة وما فيها من حساب وثواب وعقاب وبالقدر خيره وشره حلوه ومره، ففى ظل هذه العقيدة الواضحة حرر الإنسان من داخله وأشعر بأنه لا عبودية لغير الخالق جل وعلا ولا سلطان لمخلوق على مخلوق ولا قيمة للمال والجاه والسلطان إلا بقدر مايقدم الإنسان منها لاَخرته ومن هنا كانت العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وحفظت للإنسان كرامته فلم تمتهن بالسجود وتقديم القرابين لأصنام تنحت من الحجارة أو تصنع من الخشب أو غيرة ولا لاَلهة باطلة من البقر والكواكب أو النجوم أو الملائكة أو الصور والتهاويل ولا لمتألهين من ذوى الجاه أو السلطان أو الرياسة أو غيرهم، إذ الجميع أمام الله عبيد لا يملكون لغيرهم ولا لأنفسهم من الأمر شيئاً [١].

عاشراً : أنها دين الحق والخير : من القواعد العامة التى وضعها الإسلام للتشريع أنها تهدى إلى الحق والخير وتكفل المصالح العامة وتحوطها بسياج لا يقتحم وتعلن الحرب على كل ضرر وكل إضرار وكل مفسدة حتى لقد جمعت من المزايا والمحاسن ما لم يجتمع فى غيرها .

الحادى عشر : أنها تحقق مصالح العباد فى معاشهم ومعادهم ورفع الضرر والمفاسد عنهم ولتمكن العدالة بينهم عدالة مطلقة لا تعرف التمييز ولا المحاباة ولا المجاملة ولا الهوى .

<u>موضوعات العقيدة :</u>

إذا ألقينا النظر فى كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله ، وجدنا أنهما النبع الصافى لبيان موضوعات العقيدة الإسلامية .

---

١ – فلسفة العبادات فى الإسلام للمرحوم أ.د مصطفى زيد ٢٠–٢١ .

إذ يقول المولى تبارك وتعالى : {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } (١).

ويقول سبحانه وتعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } (٢).

وقوله تعالى {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ .... } (٣).

وفى سنة رسول الله فنجد الإمام مسلما يروى عن ابن عمر أنه قال حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يامحمد أخبرنى عن الإيمان؟، قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاَخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " (٤).

وأخرج الإمام البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة قال " كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بارزاً يوما للناس فأتاه جبريل فقال " ما لإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه وبرسله وتؤمن بالحساب " (٥).

فمن خلال عرض هذه النصوص تبين لنا أن موضوعات العقيدة تتمثل فى الإيمان بالله تبارك وتعالى وتوحيده وإفراده بالوحدانية والعبودية والإيمان بالملائكة قد خلقهم الله عز

---

١ – سورة البقرة : اَية ٢٨٥ .
٢ – سورة النساء : اَية ١٣٦ .
٣ – سورة البقرة : اَية ١٧٧ .
٤ – أخرجه الإمام مسلم .
٥ – أخرجه البخارى .

وجل من نور شأنهم الطاعة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . والإيمان بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم وما حملوه إلى الناس من كتب مقدسة فيها هدى ونور . والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره . وباقى الأمور الغيبية التى أشار إليها القرآن الكريم وسنة رسوله من بعث وحساب وجزاء وجنة ونار .

حاجة الإنسان للعقيدة :

إن حاجة الإنسان للعقيدة كحاجته إلى الماء والهواء والغذاء فلا حياة للإنسان بدون ماء وهواء وغذاء ، فكذلك لا حياة له بدون عقيدة وإيمان يربطه بخالقه فلابد من توحيد خالص لله رب العالمين ويعبده ويشكره ويلوذ ويتضرع إليه إذا أصابه مكروه أو مصيبة وإلا يصبح كالحيوان فى الغابة .

فعلم العقيدة من أشرف العلوم على الإطلاق بالنسبة للفرد المسلم؛ لأنه علم العقائد الإسلامية والعقائد فى الإسلام هى الإصول التى تبنى عليه فروعه والأسس التى يقوم المسلم على بنيانه والحصون التى لابد منها لحماية عقيدة المسلم من أخطار الشك وأعاصير التضليل والتزييف وكثيراً ماسمعنا ورأينا أنواعاً من الانحرافات فى الفكر والقول والسلوك لم يكن لها سبب إلا البعد عن فهم أصول هذا الدين وركائزه التى قام عليها والتى لابد منها ليفهم من الدين وليجاب بها عن جميع التساؤلات التى لم يكن لها سبب سوى الجهل بقضايا الإيمان ومسائله " .وقضايا الإيمان هذه هى التى جاءت بها الرسل على مدى التاريخ الإنسانى كمبدأ لابد منه حتى تبنى عليه جميع قضايا الدين بعد ذلك [١].قال تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [٢].

---

١ – تبسيط العقائد الإسلامية ص١٩–٢٠ .

٢ – سورة الأنبياء : آية ٢٥ .

ومما يضاف إلى حاجة الإنسان إلى العقيدة إن الله عز وجل لا يقبل الأعمال التى يفعلها الإنسان إلا إذا قامت على عقيدة صحيحة من الشرك والرياء والنفاق فالله تبارك وتعالى طيب ولايقبل من الأعمال إلا ماكان خالصاً لوجهه الكريم .

لذلك قال علماء الإسلام إن هذا العلم مفروض تعليمه وتعلمه على كل مسلم ومسلمة وواجب كل مسئول من والد وولده ومعلم وصبى ومربى وأمثالهم أن يهتموا بتنشئة الأطفال على فهم مبادئه على أن يعطى كل حسب قدرته العقلية والنفسية فيتدرج فى تعليمه كما يتدرج فى تعليم أى علم " [١].

أثر العقيدة في الفرد والمجتمع :

جعل المولى عز وجل العقيدة عامة للبشر وخالدة على الدهر لما لها من الأثر البين والنفع الظاهر فى حياه الأفراد والجماعات .

فمن أثر العقيدة الصحيحة على الفرد أنها تربى الضمير وتوقظ حواس الخير وتربى ملكة المراقبة وتبعث على طلب معالى الأمور وأشرافها وتبعد الإنسان عن الر ومحقرات الأعمال . هذا من ناحية الإيمان بالله تبارك وتعالى فالإيمان بالله عز وجل يبعث فى النفس طمأنينة وخشية ورهبة من الله تبارك وتعالى . والإيمان بالملائكة : يدعو إلى التشبه بهم والتعاون معهم على الحق والخير كما يدعو إلى الوعى الكامل واليقظة التامة فلا يصدر من الإنسان إلا ما هو حسن ولا يتصرف إلا لغاية كريمة .

والإيمان بالكتب الإلهية إنما هى عرفان بالمنهج الرشيد الذى رسمه الله للإنسان كى يصل بالسير عليه إلى كماله المادى والأدبى والإيمان بالرسل يدعو إلى التخلق بأخلاقهم والسير على مناهجهم والتاَسى بهم باعتبار أنهم يمثلوا القيم الصالحة والحياة النظيفة التى أرادها الله للناس .

---

١ – تبسيط العقائد ص٢٢ .

والإيمان باليوم الآخر : أقوى باعث على فعل الخير وترك الشر – حينما يعلم المرء أن هناك يوم يسمى بيوم القيامة ويقف فيه للحساب والجزاء فهذا يدفعه إلى إخلاص العمل وإتقانه . حتى ينال المرء الثواب الجزيل من المولى عز وجل .

والإيمان بالقدر : باعث على الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره . فالإيمان بالقضاء والقدر يدفع إلى الصبر على النوازل والمكاره هذا من ناحية أثر العقدة على الفرد .

أما من ناحية أثرها على المجتمع :

ومن ناحية أثر العقيدة على المجتمع : فالمجتمع الذى يتخلق بالعقيدة الصحيحة يسوده الامن والأمان والطمأنينة والإحسان والتعاون والمحبة والإخلاص .

كما أم من آثار العقيدة على المجتمع التحلى بالفضائل ومكارم الأخلاق التى دعت إليها الشرائع السماوية . والتخلى عن الرذائل فالمجتمع الفاضل المتماسك بالعقيدة الصحيحة الخالية من الشوائب والبعيدة عن الاهواء مجتمع تسوده المحبة والتعاون والتكامل والتضامن وبالتالى تبعد عنه الفواحش والموبقات والشرور . هذه هى آثار العقيدة على المجتمع .

ومن هنا يتبين لنا أن العقيدة إنما يقصد بها تهذيب السلوك وتزكية النفوس وتوجيهها نحو المثل الأعلى . فضلاً عن أنها حقائق ثابتة وهى من أعلى المعارف الإنسانية وإن لم تكن أعلاها على الإطلاق " [١].

وهى أول واجب على العبد نحو ربه الجليل أن يتعرف على ربه كما عرفنا به رسول الله ثم يفرد ربه بجميع ألوان العبادة دون سواه . قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [٢].

---

١ - ١ – الثمرات الزكية فى العقائد السلفية ، أحمد فريد ص٦ .

٢ – سورة الذاريات ، الآية (٥٦) .

الفصل الثالث

فضل شهادة لا إله إلا الله

يقول الشاعر:

وقد حوته لفظة الشهادة * فهي سبيل الفوز والسعادة**

من قالها معتقدا معناها * وكان عاملا بمقتضاها**

في القول والفعل ومات مؤمنا * يبعث يوم الحشر ناج آمنا**

تشير هذه الأبيات إلي فضل كلمة التوحيد في سبيل الفوز بدخول الجنة والنجاة من النار كما أشار المولي تبارك وتعالي في قوله تعالي (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) وهي سبيل السعادة في الدارين فلا وصول إليها إلا بهذه الكلمة، فمن أجلها أرسل الله جل وعلا الرسل عليهم السلام، وأنزل بها كتبه، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار، وفي شئنها تكون الشقاوة والسعادة، وبها تأخذ الكتب باليمين أو الشمال ويثقل الميزان أو يخف وبها النجاة من النار بعد الورود، كما أنها أثقل شئ في ميزان العبد يوم القيامة فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله علي وسلم قال (إن نوحا عليه السلام قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعن في كفة ووضعت لا إله الا الله في كفة لرجحت بهن لا إله الا الله) .

وقال موسي عليه السلام: يارب علمنى شيئا أذكرك وأدعوك به قال ياموسي قل لا إله الا الله . قال موسي: يارب كل عبادك يقولون هذا، قال ياموسي قل لا إله الا الله، قال لا اله إلا الله إنما أريد أن تخصني به ، قال ياموسي لو أن السماوات السبع والأرضين السبع وعامرهن غيري في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : "إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة ينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول : أتنكر من هذا شيئا ، أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول : بل إن لك عندنا حسنة وأنه لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فيقول : أحضر وزنك فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات . فقال : فإنك لا تظلم قال : فتوضع السجلات في كفة و البطاقة كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء ويكفينا في فضل لا إله إلا الله أخبار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنها أعلى شعب الإيمان ، كما في الصحيحين عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق " .

فمن قالها معتقدا معناها الذي دلت عليه نفيا وإثباتا وكان عاملا بمقتضاها على وفق ما علمه منها وتيقنه في القول والفعل ومات مؤمنا على ذلك فإنه يبعث يوم الحشر ناج من النار آمنا من فزع يوم القيامة كما قال تعالى: { إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون • لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعون) سورة الأنبياء (١٠١– ١٠٣).

معنى لا إله إلا الله

فإن معناها الذي عليه * التقينا وهدت إليه**
أن ليس بالحق إله يعبد * إلا الإله الواحد المنفرد**
بالخلق والرزق والتدبير * جل عن الشريك والنظير**

فمعنى لا إله إلا الله : لا معبود بحق إلا الله ، لا إله نافية جميع من دون الله فلا يستحق أن يعبد إلا الله مثبتا العبادة لله فهو الإله الحق المستحق للعبادة.

فكما تفرد تعالى بالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والإيجاد و الإعدام والضر والإعزاز والإذلال و الهداية والإضلال وغير ذلك من معاني ربوبيته ولم يشركه أحد في خلق المخلوقات ولا في التصرف في شيء منها ، وتفرد بالأسماء الحسني والصفات العلى ولم يتصف بها غيره ولم يشبهه شيء فيها ، فكذلك تفرد سبحانه بالإلهية حقا فلا شريك له فيها (وذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير) سورة لقمان (٣٠).

وقال تعالى: (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون • عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) ٠ المؤمنون (٩١- ٩٢).

شروط شهادة أن لا إله إلا الله

وبشروط سبعة قد قيدت *** وفي نصوص الوحي حقا وردت
فإنه لم ينتفع قائلها *** بالنطق إلا حيث يستكملها
العلم واليقين والقبول *** والانقياد قادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة *** وفقك الله لما أحبه

الشرط الأول: العلم بمعناها نفي وإثباتا ، قال تعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله) ، وقال تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم)

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها مستيقنا بمدلول هذه الكلمة يقينا جازما ، فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن ، قال تعالى: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا أي يشكوا.

الشرط الثالث : القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه.

الشرط الرابع : الانقياد لما دلت عليه، قال تعالي (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له).

وقال تعالى (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقي). أي بلا إله إلا الله ، ومعنى يسلم وجهه أي ينقاد وهو موحد .

ومن لم يسلم وجهه إلى الله ولم يك محسنا فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى، وهو المعنى بقوله عز وجل بعد ذلك (ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور • نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) لقمان (٢٣- ٢٤).

الشرط الخامس: الصدق المنافي للكذب وبأن يقولها صدقا من قلبه لسانه ، قال الله تعالي : (الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) . العنكبوت (١-٣).

الشرط السادس: الإخلاص وهو تصديقه العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك ، قال تبارك وتعالى: (ألا لله الدين الخالص) سورة الزمر (٣) . وقال تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) البينة (٥). وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي قال: " أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه " رواه البخاري

الشرط السابع : المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها وبغض ما ناقض ذلك ، قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) البقرة (١٦٥).

وقال تعالي: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) سورة المائدة (٥٤) . فاخبرنا الله تعالي أن عباده المؤمنين أشد حبا له، وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحد كما فعل مدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أنداداً يحبونهم كحبه ، وعلامة حب العبد ربه تقديم محبته وإن خالفت هواه ، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه ، وموالاة من والى الله ورسوله ومعاداة من عاداه ، واتباع رسوله واقتفاء أثره وقبول هداه . وكل هذه العلامات شروط في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدم شرط منها قال الله تبارك وتعالى { أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا) وقال تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله) فكل من عبد مع الله غيره فهو في الحقيقة عبد لهواه بل كل ما عصي الله به من الذنوب فسببه تقديم العبد هواه علي أوامر الله جل وعلا ونواهيه، قال تعالي (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا

برءآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتي تؤمنوا بالله وحده) سورة الممتحنة (٤) .

وقال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان) سورة المجادلة ، الآية(٢٢).

الفصل الرابع

مفهوم العبادة في الاسلام

العبادة:

هي اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة والصيام والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان إلي الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الادميين والبهائم، والدعاء والذكر، والقراءة وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله ، والانابة إليه واخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه، والرضي بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه . كل ذلك من العبادة لله . فالعبادة لله هي الغاية المحبوبة والمرضية له والتي خلق الخلق لها ، قال تعالي " وما خلق الجن والانس إلا لتعبدون"[١]. وبها ارسل بها جميع الرسل، قال نوح لقومه: "اعبدوا الله ما لكم من اله غيره "[٢]. وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم ، فقال تعالي: " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدي الله ومنهم من حقت عليه الضلالة "[٣]، وقال تعالي" وما أرسلنا من قبلك رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون" "[٤]. وقال تعالي: "واعبد ربك حتي ياتيك اليقين" [٥] . فالدين

---

١ – سورة الذاريات ، الآية (٥٦) .
٢ – سورة الأعراف ، الآية (٥٩) .
٣ – سورة النحل ، الآية (٣٦) .
٤ – سورة الأنبياء ، الآية (٢٥) .
٥ – سورة الحجر ، الآية (٩٩) .

يتضمن معني الخضوع والذل، يقال: دنته فدان ، أي : اذللته فذل، ويقال ندين لله ، أي : نعبد الله ونطيعه ونخضع له .

فدين الله: عبادته وطاعته والخضوع له ، والعبادة أصل معناها : الذل أيضًا، لكن العبادة المأمور بها تتضمن معني الذل ومعني الحب ، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالي ، بغاية المحبة له، فالجامع لعبادة الله .

طـاعـتـــه :

بامتثال اوامره واجتناب نواهيه ، ومن أنواعها:

الدعاء ، والاستعانة ، والاستغاثة ، وذبح القربان ، والنذر، والخوف ، والرجاء ، والانابة والمحبة والخشية والرغبة والرهبة، والركوع والسجود ، والخشوع والتذلل والتعظيم الذي هو من خصائص الالوهية .

فدليل الدعاء: قوله تعالي " وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا" [١] .

ودليل الاستعانة: قوله تعالي:"إياك نعبد وإياك نستعين"[٢]. فيها توحيد الإلوهية الربوبية.[٣]

ودليل الاستغاثة: قوله تعالي " إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم " [٤]

ودليل الذبح: قوله تعالي " قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين " [٥] .

ودليل النذر : قوله تعالي " يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا" [٦].

ودليل الخوف : قوله تعالي " إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين " [١].

---

١ – سورة الجن ، الآية (١٨) .
٢ – سورة الفاتحة ، الآية (٥) .
٣ – مجموع التوحيد لابن تيمية ص ٢٣ .
٤ – سورة الأنفال ، الآية (٩) .
٥ – سورة الأنعام ، الآية (١٦٢– ١٦٣) .
٦ – سورة الإنسان ، الآية (٧) .

ودليل الرجاء : قوله تعالي " فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا " [٢].

ودليل التوكل : قوله تعالي " وعلي الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين "[٣] .

ودليل الإنابة : قوله تعالي " وأنيبوا إلي ربكم وأسلموا له " [٤] .

ودليل المحبة : قوله تعالي " ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله " [٥] .

ودليل الخشية : قوله تعالي" فلا تخشوا الله واخشون " [٦].

ودليل الرغبة والرهبة : قوله تعالي: " إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا له خاشعين " [٧].

ودليل التاله : قوله تعالي" وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم "[٨].

ودليل الركوع والسجود : قوله تعالي" يا أيها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون " [٩].

ودليل الخشوع : قوله تعالي " وإن من أهل الكتاب من يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلا " [١٠].

---

١ – سورة آل عمران ، الآية (١٧٥) .
٢ – سورة الكهف اية ١١٠.
٣ – سورة المائدة اية ٢٣.
٤ – سورة الزمر اية ٥٤.
٥ – سورة البقرة اية ١٦٥.
٦ – سورة المائدة اية ٤٤.
٧ – سورة الانبياء اية ٩٠.
٨ – سورة البقرة اية ١٦٣.
٩ – سورة الحج اية ٧٧.
١٠ – سورة ال عمران اية ١٩٩.

فمن صرف شيئا من هذه الأنواع لغير الله فقد أشرك بالله ـ عز وجل ـ وحبط عمله.

الفصل الخامس

الإيمـــــــان

اختلف العلماء فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافا كثيرا : فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي واسحاق بن راهوية وسائر اهل الحديث وأهل المدينة رحمهم الله والله الظاهر وجماعة من المتكلمين إلي أن الايمان تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان وذهب كثيرا كمن اصحابنا إلي ما ذكره الطحاوي رحمه الله : إنه الاقرار باللسان ، والتصديق بالجنان " [١]، ومنهم من يقول: أن الإقرار باللسان ركن زائد ليس باصل . وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي – رحمه الله – ويروي عن أبي حنيفه رضي الله عنه .

ومذهب الكرامية : يرون أن الإيمان هو الاقرار باللسان فقط فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الايمان، ولكنهم يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به وقولهم ظاهر الفساد.

وذهب الجهم بن صفوان وابو الحسن الصالحي أحد رؤساء القدرية إلي أن الايمان هو المعرفة بالقلب. وهذا القول أظهر فسادا مما قبله فإن لازمة أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين، فإنهم عرفوا صدق موسي وهارون عليهما الصلاة ولم يؤمنوا ، ولهذا قال موسي لفرعون : "قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر" [٢]، وقال تعالي: " وجحدوا وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة والمفسدين" [٣] ، وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي صلي الله عليه وسلم كما يعرفون أبنائهم ولم يكونوا مؤمنين به ، بل كافرين به معادين له [٤].

---

١ – شرح العقيدة الطحاوية لابن العز الحنفي ص ٣٣٢.

٢ – سورة الاسراء اية "١٠٢".

٣ – سورة النمل اية "١٤".

٤ – شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٣٣٢.

وحاصل الكل يرجع الي الإيمان : إما أن يكون ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح كما ذهب جمهور السلف من الأئمة الثلاثة أو بالقلب واللسان دون الجوارح . كما ذكره الطحاوي عن أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله . أو باللسان وحده كما ذكره الكرامية . أو بالقلب وحده وهو أما المعرفقة ، كما قال الجهم ، أو التصديق كما قاله أبو منصور الماتريدي رحمه الله . وفساد قول الكرامية والجهم بن صفوان ظاهر .

وقد اثبت الإمام أبو عبيد بن سلام أن الإيمان هو الإخلاص بالقلوب وشهادة بالإلسنة وعمل بالجوارح . فنراه يقول: – " الأصل في حجتنا في ذلك هو اتباع ما نطق به القرءان ، فإن الله تعالي جل ذكره علوا كبيرا قال في محكم التنزيل " فإن تنازعتم في شي فردوه إلي الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الأخر ذلك خير وأحسن تأويلا " [١] ، وأنا رددنا الأمر إلي ما ابتعث الله عليه رسوله ـ صلي الله عليه وسلم ـ وأنزل به كتابه، فوجدناه قد جعل بدء الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلي الله عليه وسلم. فأقام النبي صلي الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة عشر سنين أو بضعة عشر سنة يدعو إلي هذه الشهادة خاصة وليس الإيمان المفترض علي العباد يومئذ سواها ، فمن أجاب إليها كان مؤمنا ، لا يلزمه في الدين غيرها .

ولم يجب عليهم زكاة ولا صيام ولا غير ذلك من شرائع الدين ، وإنما كان هذا التخفيف عن الناس يومئذ فيما يرونه العلماء رحمة من الله لعباده ورفقا بهم ؛ لأنهم كانوا حديث عهد بجاهلية وجفاوتها ولو حملهم الفرائض كلها معا نفرت قلوبهم ، وتقلت علي أبدانهم ، فجعل ذلك القرار بالألسن وحدها هو الإيمان المفترض علي الناس يومئذ ، فكانوا علي ذلك إقامتهم بمكة كلها وبضعة عشر شهرا بالمدينة بعد الهجر فلما أثاب الناس إلي الإسلام وحسنت فيه رغبتهم، زادهم الله في إيمانهم أن فرض الصلاة علي الكعبة ، بعد أن كانت نحو بيت القدس

---

١ – سورة النساء ، الآية (٥٩) .

قال تعالي " **قد نري تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** " [١].

ثم خاطبهم وهم بالمدينة باسم الإيمان المتقدم لهم ، في كل ما أمرهم به أو نهاهم عنه ، فقال في الأمر: " يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا " [٢]. وقال تعالي: " يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلي الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلي المرافق " [٣].

وقال في النهي : " يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا أضعافا مضاعفة " [٤]

وقال تعالي " يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم " [٥].

وعلي هذا كل مخاطبته كانت لهم فيها أمرا أو نهيًا بعد الهجرة، وإنما سملهم بهذا الاسم بالإقرار وحده إذ لا يمكن هناك فرض غيره، فلما نزلت الشرائع بعد هذا وجبت عليهم وجوب الأول سواء ، لا فرق بينهما لأنها جميعا من عند الله وبامره وبايجابه ، فلو أنهم عند تحويل القبلة إلي الكعبة امتنعوا أن يصلوا إليها وتمسكوا بذلك الإيمان الذي لزمهم اسمه والقبلة التي كانوا عليها، لم يكن ذلك مغنيا ظعنهم شيئا ، ولكان فيه نقص لاقرارهم ، لأن الطاعة الأولي ليست باحق باسم الإيمان من الطاعة الثانية، فلما أجابوا الله ورسوله إلي قبول الصلاة كإجابتهم إلي الإقرار صارا جميعًا معا هما يومئذ الإيمان إذا اضفيت الصلاة الي الإقرار .

والشاهد علي أن الصلاة من الايمان قول الله تعالي: " وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم " [٦] .

---

١ – سورة البقرة ، الآية (١٤٤) .
٢ – سورة الحج ، الآية (٧٧) .
٣ – سورة المائدة ، الآية (٦) .
٤ – سورة آل عمران ، الآية (١٣٠) .
٥ – سورة المائدة ، الآية (٩٥) .
٦ – سورة البقرة ، الآية (١٤٣) .

فهذه الآية نزلت فيمن توفي من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم، وهم علي الصلاة إلي بيت المقدس، فسئل رسول صلي الله عليه وسلم عنهم فنزلت هذه الآية . فأي شاهد يلتمس إلي أن الصلاة من الإيمان بعد هذه الإية ؟ "[١].

فلبثوا بذلك برهة من دهرهم فلما أقاموا الصلاة وانشرحت لها صدورهم ، أنزل الله فرض الزكاة في إيمانهم إلي ما قبلها فقال : " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " [٢].

وقال تعالي : " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها " [٣] ، فلو أنهم ممتنعون من الزكاة عند الاقرار وأعطوه ذلك بالألسنة وأقاموا الصلاة غير أنهم ممتنعون عن الزكاة، كان ذلك مزيلا لما قبله وناقضا للإقرار والصلاة، كما كان إيتاء الصلاة قبل ذلك ناقصا أما تقدم من الإقرار . والمصدق لهذا جهاد أبي بكر الصديق رحمه الله تعالي بالمهاجرين والأنصار علي منع العرب الزكاة كجهاد رسول الله صلي الله عليه وسلم أهل الشرك سواء لا فرق بينهما في سفك الدماء وسبي الذرية واغتنام المال ، فإنما كانوا مانعين لها غير جاحدين بها ثم كذلك كانت شرائع الإسلام كلها، كلما نزلت شريعة صارت مضافة إلي ما قبلها لا حق به، ويشملها جميعا اسم الإيمان فيقال لأهله مؤمنون . [٤]

زيادة الايمان :

الأدلة علي زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة جدا منها: قوله تعالي : " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون" [٥]، وقوله تعالى: "هو الذى أنزل السكينه فى قلوب المومنين ليزدادو

---

١ – الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ص١٦.

٢ – سورة البقرة ، آية "٨٣ ، ١١٠".

٣ – سورة التوبة ، آية "١٠٣".

٤ – الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ص١٧–١٨.

٥ – سورة الأنفال ، الآية (٢) .

إيمانا مع إيمانهم"، وقال تعالى: "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل"[١].

"أما السنة فقد وردت فى كتب السنة الصحيحة عدة أحاديث تقيد زيادة الإيمان وكماله ، منها قوله صلى الله عليه وسلم، إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وقوله عليه السلام من حديث أبى هريرة: "أن الإيمان بضعة وستون شعبة أعلاها لا إله الله وأدناها إماطة الأذى من الطريق والحياء شعبة من الإيمان ".

وقوله عليه السلام الغيرة من الإيمان، " البذاذة"[٢] من الإيمان حسن العهد من الإيمان وكلام الصحابة رضى الله عنهم فى هذا المعنى كثيرا أيضًا منه قول أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ من فقه العبد أن يتعاهد وما نقص عنه ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص وكان عمر رضى الله عنه يقول لأصحابه:" هلموا نزداد إيمانا، فيذكرون الله تعالى عز وجل" وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول لرجل: "اجلس بنا نؤمن ساعة"، وقد قال عمار بن ياسر رضى الله عنه ثلاث من الإيمان: "الإنفاق من الإقتار، والإنصاف من نفسك، وبذل السلام علي العالم" [٣].

<u>أما عن نقصان الإيمان :</u>

فقد وردت عدة أحاديث تفيد أن الإيمان بالذنوب والآثام منها نفي الإيمان. [٤]

حديث النبى صلى الله عليه وسلم : " لا يزنى الزانى حيث يزنى وهو مومن ولا يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن" [٥] .

وقول أبو بكر الصديق رضى الله عنه : " إياكم والكذب فإنه يجانب الإيمان" .

---

١ – سورة الفتح ، الآية (٤) ، سورة آل عمران ، الآية (١٧٣).

٢ – المراد بها التقشف .

٣ – الإيمان لأبي عبيد بن سلام ص٢٦.

٤ – العقيدة الطحاوية ص٣٤٢.

٥ – أخرجه الشيخان .

ووقول عمر رضى الله عنه: "لا إيمان لمن لا أمانة له"، وقول سعد : "كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب ".

وقوله ابن عمر رضى الله عنه :"لا يبلغ أحد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقا ويدع المزاحه فى الكذب"، ومنها أيضًا نفى البراءة: " وما أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة مرفوعا: "من حمل علينا السلام فليس منا ومن غشنا فليس منا " [١].

وحديث ابن عمر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا"، ومنها أيضًا تسمية الفعل بالكفر مثل: قوله صلى الله عليه وسلم : "لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض "، وقوله : "من قال لصاحبه يا كافر فقد باء به أحدهم "، وقوله صلى الله عليه وسلم:"من أتى ساحرا أو كاهنا فصدقه بما يقول أو أتى حائضا أو امرأة فى دبرها فقد برى مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم أو كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم"، وذكر الفعل بأنه شرك مثل قوله صلى الله عليه وسلم : "أخوف على أمتى الشرك الأصغر، قيل يا رسول الله وماهو الشرك الأصغر ؟، قال: الرياء واورد الإمام أبو عبيد آراء العلماء في بيان هذه الأحاديث فتراه يقول: فهذه أربعة أنواع من الحديث، وكان الناس فيها علي أربعة أصناف من التأويل: فالطائفة تذهب إلي كفر النعمة . وثانية: تحملها علي التغليظ والترهيب. وثالثة: تجعلها كفر أهل الردة. ورابعة: تذهبها كلها وتردها. فكل هذه الوجوه عندنا مردودة عبر مقبولة لمن يدخلها من الخلل والفساد والذي يرده المذهب الأول مانعرفه من كلام العرب ولغاتها، وذلك أنهم لا يعرفون كفران النعم إلا بالجحد لأنعام الله والاته وهو كاخبر علي نفسه بالعدم. وقد وهب الله له الثروة ، أو بالقسم، وقد من الله عليه بالسلامة. وكذلك من يكون من كتمان المحاسن ونشر المصائب، فهذا الذي تسميه العرب كفرانا إن كان ذلك فيما بينهم وبين الله، أو كان من بعضهم لبعض إذا تناكروا اصطناع المعروف عندهم وتجاحدوه. مثل قوله صلي الله عليه وسلم للنساء: " أنكن تكثرن

---

١ – أخرجه مسلم .

الأمن وتكفرن العشير يعني الزوج وذلك أن تغضب إحداكن فتقول ما رأيت منك خيرا قط. فهذا ما في كفر النعمة. وأما القول الثاني المحمول علي التلغيظ فمن أفظع من تأول علي رسول الله وأصحابه أن جعلوا الخبر عن الله وعن دينه وعيدا لا حقيقة له، وهذا يؤول إلي إبطال العقاب لأنه إذا أمكن ذلك في واحد منها كان ممكنا في العقوبات كلها " [١] .

وأما الثالث الذي بلغ فيه كفر الردة نفسها فهو شر من الذي قبله؛ لأنه مذهب الخوارج الذين مرقوا في الدين بالتأويل فكفروا الناس بصغار الذنوب وكبراها، وقد علمت ما وصفهم رسول الله صلي الله عليه وسلم من المروق، وما أذن فيهم من سفك دمائهم. وقد وجدنا الله تبارك وتعالي : يكذب مقالتهم ، وذلك أنه حكم في السارق بقطع اليد، وفي الزاني والقاذف بالجلد ، ولو كان الذنب يكفر صاحبه ما كان الحكم علي هؤلاء الا القتل لأن الرسول صلي الله عليه وسلم قال: " من بدل دينه فاقتلوه" أفلا تري أنهم لو كانوا كفارا لما كانت عقوباتهم القطع والجلد، وكذلك قول الله فيمن قتل مظلوما: " فقد جعلنا لوليه سلطانا " [٢].

فلو كان القتل كفرا ما كان للوالي عفو ولا أخذ دية ، ولزمه القتل، وأما القول الرابع : الذي فيه تضعف هذه الآثار فليس مذهب من يعتقد بقوله فلا يلتف إليه ، وإنما هو احتجاج أهل الأهواء والبدع الذين قصر علمهم عن الاتساع وعييت أذهانهم عن وجوهها ، فلم يجدوا شيئا أهون عليهم من أن يقولوا متناقضة فأبطلوها كلها، والذي عندنا في هذا الباب أن المعاصي

---

١ – الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام، ص ٥٨،٥٩،٦٠

٢ – سورة الاسراء ، آية "٣٣".

والذنوب لا تزيل إيمانا، ولا توجب كفرا ولكنها تنفي من الإيمان حقيقة وإخلاصه الذي نعت الله به أهله واشترطه عليهم في مواضع من كتابه فقال: " إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله "، إلي قوله تعالي:" التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين" (١).

وقال تعالي: "قد أفلح المؤمنون" إلي قوله تعالي: " والذين هم علي صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون " (٢).

وقال تعالي : " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلي ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم " (٣).

قال أبو عبيد فهذه الآيات التي شرعت وأبانت شرائعه المفروضة علي أهله ونفت عنهم المعاصي كلها، ثم فسرته السنة بالأحاديث التي فيها خلال الإيمان، فلما خالطت هذه المعاصي هذا الإيمان المنعوت بغيرها، قيل ليس هذا من الشرائط التي أخذها الله علي المؤمنين ولا الأمانات التي يعرف بها أنه الإيمان فنفت عنه حقيقته ولم يزل عنهم اسمه .

---

١ – سورة التوبة ، الآَية (١١٢) .

٢ – سورة المؤمنون ، الآَية (١ ـ ١١) .

٣ – سورة الأنفال ، الآَية (٢ – ٤) .

الفصل السادس

الشرك وأنواعه

إن ضد التوحيد الشرك، وهو ثلاثة أنواع : (شرك أكبر ، شرك أصغر ، شرك خفي) .

والدليل على الشرك الأكبر : قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا). وقال تعالى :" إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار). وهو على أربعة أنواع :

النوع الأول : شرك الدعوة ، ودليله قوله تعالى: (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون).

النوع الثاني: شرك النية والإرادة والقصد ، ودليله قوله تعالى (من كان يريد الحياة وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون)

وجاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى : " أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا منه برئ ". ومعنى قوله " أنا أغنى الشركاء عن الشرك " معناه : أنا أغنى من العمل الذي فيه شركاء لغيري ، فمن عمل عملا لغير وجهي فأنا منه برئ : يعني من العامل بقي هذا الخبر دليل على أن الله تعالى لا يقبل من العمل شيئا إلا ما كان خالصا لوجهه ، فإذا لم يكن خالصا فلا يقبل منه ، ولا ثواب له في الآخرة ومصيره إلى جهنم.

وقال تعالى: (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) . يعني الأعمال التي عملوها لغير الله تعالى أبطلنا ثوابها ، وجعلناها كالهباء المنثور وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس .

النوع الثالث: شرك الطاعة، ودليله قوله تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون).

النوع الرابع : شرك المحبة، قال تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله).

النوع الثاني : الشرك الأصغر ، وهو الرياء ، قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحد) ، وقال النبي :" أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : يا رسول الله وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء ، بقول الله تعالى لهم يوم يجازي العباد بأعمالهم "، اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم خيرا ، وإنما يقال لهم ذلك؛ لأن أعمالهم كانت في الدنيا على وجه الخداع فيعاملون في الآخرة على وجه الخداع ، كما قال تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) يعني يجازيهم جزاء الخداع فيبطل ثواب أعمالهم ويقول لهم : اذهبوا إلى الذين عملتم لأجلهم، فإنه لا ثواب لأعمالكم عندي لأنها لم تكن لوجه الله تعالى، وإنما يستوجب العبد الثواب إذا كان عمله خالصا لوجه الله تعالى . وروي عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : "للمرائي أربع علامات يعرف بها ، يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان الناس ، ويزيد في العمل إذا أثنى عليه وينقص إذا ذم به" .

وروي عن شقيق بن ابراهيم قال : يخلص العمل ثلاثة أشياء :

أولها : أن يرى الإذن من الله تعالى ، ليكسر به العجب

الثاني: أن يبتدئ برضا الله ، ليكسر به الهوى

الثالث : أن يبتغي ثواب العمل من الله تعالى ، ليكسر الطمع والرياء.

فهذه الأشياء تخلص الأعمال .

النوع الثالث: شرك خفي، وكفارته قوله صلى الله عليه وسلم: " اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم واستغفرك من الذنب الذي لا أعلم " ، فالكفر الذي يخرج من الملة خمسة أنواع :

النوع الأول: كفر التكذيب، ودليله قوله تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم موى للكافرين).

النوع الثاني: كفر الإباء والاستنكار، ودليله قوله تعالى:(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين } .

النوع الثالث : كفر الشك وهو كفر الظن ، ودليله قوله تعالى (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا • وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا • قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلق من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحد).

النوع الرابع : كفر الإعراض ، قول تعالى (والذين كفروا عما أنذروا معرضون).

النوع الخامس : كفر النفاق ، قال تعالى ذلك: (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقون).

أما الكفر الأصغر فهو لا يخرج من الملة ، وهو كفر النعمة قال تعالي: (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) سورة النحل (١١٢).

الـنـــــفـــاق

المنافق فهو الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر والعياذ بالله وينقسم إلى نوعين :

النوع الأول: اعتقادي، كتكذيب الرسول أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول، أو بغض ما جاء به أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية بانتصار دين الرسول عليه السلام .

النوع الثاني: العملي، ودليله قوله صل الله عليه وسلم: " آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان " وفي رواية أخرى: " وإذا خاصم فجر ، وإذا عاهد غدر " رواه مسلم .

من أنواع الشرك لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه:

قال تعالى (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) وروي عمران بن حصين رضي الله عنه : أن النبي رأى رجلا في يده حلقة من صفر ، فقال " ما هذا ؟ قال : من الواهنة . قال : انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا ، فإنك لو مت وهي عليك ، ما أفلحت أبدا ". رواه أحمد.

وعن عقبة بن عامر – مرفوعا ، قال : " من تعلى تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له " . ويؤخذ من هذه الأحاديث عدة مسائل :

الأول : التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوها .

الثانية : إن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح .

الثالثة : أنه لا يعذر بالجهالة

الرابعة : أن من تعلق تميمة فقد أشرك .

الرقي والتمائم

فقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول : **إن الرقي والتمائم والتولة شرك** " [١] .

فالتمائم : شيء يعلق على الأولاد من العين، ولكن إذا كان المعلق من القرآن ، فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ، وجعله من المنهي عنه ، ومنهم ابن مسعود رضى الله عنه .

---

١ - رواه أحمد وأبو داود.

والرقي: هي التي تسمي العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله صل الله عليه وسلم من العين والحمى.

والتولة : فشيء يضعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته "[١] .

الذبح لغير الله

قال تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له) [٢]

وقال تعالى(فصل لربك وانحر) [٣] .

وروي عن علي رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله صل الله عليه وسلم بأربع كلمات : "لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والدية ، لعن الله من آوى محدثا لعن الله من غير منار الأرض " [٤].

فيؤخذ من الحديث ما يلي :

١- البدء بلعنة من ذبح لغير الله

٢- لعن من لعن والدية ، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك .

٣- لعن من آوى محدثا وهو يحدث شيئا يجب فيه حق الله فيلتجئ إلى من يجبره من ذلك

النذر لغير الله

قال تعالى: (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) [٥] .

وقال تعالى: (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه) [٦]

---

١ - مجموعة التوحيد لابن تيمية (ص ١٦٤).
٢ - سورة الأنعام (١٦٢ – ١٦٣) .
٣ - الكوثر (٢).
٤ - رواه مسلم
٥ - الإنسان، آية (٧) .
٦ - البقرة (٢٧٠) .

وثبت في الصحيح عن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله قال : " من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه " .

فيستفاد من هذا الحديث ما يلي :

أولا: وجوب الوفاء بالنذر .

ثانيا : إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك .

ثالثا : أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به

الاستعاذة بغير الله

قال تعالى: (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) [١].

وعن خولة بنت حكيم – رضي الله عنها – قالت : سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول : " من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك "[٢].

الاستغاثة بغير الله أو يدعو غيره

قال تعالى: (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين * وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو }[٣]. وقال تعالى: (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة) [٤] ، وقال تعالى: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) [٥] .

---

١ - الجن (٦) .
٢ - رواه مسلم.
٣ - يونس (١٠٦ ــ ١٠٧) .
٤ - الأحقاف ، آية (٥) .
٥ - النمل ، آية (٦٢) .

وروى الطبراني بإسناده " أنه كان في زمن النبي صل الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق ، فقال النبي صل الله عليه وسلم: " أنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله جل وعلا ".

ويؤخذ من الحديث ما يلي :

أولا : أن الاستغاثة لا تكون إلا بالله رب العالمين . فمن استغاث بغير الله عز وجل فقد ارتكب إثما عظيما .

ثانيا : أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله ، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه.

ثالثا : الأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلا الله ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

الفصل السابع

صفات الكمال الواجبة لله تبارك وتعالي

إن الله تبارك وتعالي أتصف بصفات الكمال وكمالات الله لا تتناهي ولا تعد ولا تحصي، كما أنه منزه عن كل نقص لا يليق بجلاله.

فيجب علي المسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله عز وجل متصف بجميع صفات الكمال ومنزه عن جميع صفات النقائص، وأنه متفرد عن جميع الكائنات، وذلك بإثبات ما أثبته سبحانه لنفسه أو أثبته له رسوله صلي الله وسلم من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف ألفاظها أو معاينتها، ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن الله عز وجل ولا تكيفها بتحديد كهنها وإثبات كيفية معينة لها، ولا تشبهها بصفات المخلوقين.

فالإيمان بصفات الله تبارك وتعالي يرتكز علي الأصول التالية:

أولاً:- تنزيه المولي تبارك وتعالي عن صفات المخلوقين إذ يقول المولي تبارك وتعالي : "ليس كمثله شئ وهو السميع البصير".

فهذه الآية هي دستور أهل السنة والجماعة في باب الصفات فإن الله عز وجل قد جمع فيها بين النفي والإثبات، فنفي عن نفسه المثل وأثبت لنفسه سمعا وبصرا، فدل هذا علي أن المذهب الحق ليس هو نفي الصفات مطلقاً، كما هو شأن المعطلة ولا إثباتها مطلقاً كما هو شأن الممثلة بل إثباتها بلا تمثيل، فالسلف الصالح كانوا يؤمنون بالله علي هذا الوجه فلا ينفون ولا يحرفون، ولا يكيفون ولا يمثلون.

ثانياً:- الإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة دون تجاوزها بالنقص منها أو الزيادة عليها أو تحريفها أو تعطليها.

ثالثاً:- قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية هذه الصفات كقوله تعالي:" لا يحيطون به علما".

قال الامام أحمد رحمه الله " لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلي الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث.

وقال نعيم بن حماد شيخ البخاري " من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصف به رسوله تشبيه ولا تمثيل".

وقال الإمام الشافعي رحمه الله آمنت بالله وبما جاء عن الله علي مراد الله وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله علي مراد رسول الله.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: مذهب السلف في هذا الباب واضح كغيره من الأبواب وهو وسط بين التشبيه والتعطيل وهو تسليم كامل لله ورسوله وإيمان بنصوص الصفات من الكتاب والسنة وعدم التعرض لها بالتأويل بحيث تكون تلاوتها تفسيرها، ولا يحاولون إدراك حقيقتها وكيفيتها، لأن ذلك علم استأثر الله به، ولا توهم عندهم تشبيها ولا تجسيماً، بل هي تدل علي الحقائق التي تليق بالله وحده " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير"، " ولا يحيطون به علماً" ، "ولم يكن له كفوا أحد"، وكانوا ينزهون الله علي ضوء هذه النصوص ولا يكادون يفهمون من الإثبات التشبيه، ولا من التنزيه التعطيل، هذه هي القاعدة عندهم، وإثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل. وإنما لجأ أهل الكلام إلي التعطيل والتأويل؛ لأن قلوبهم المريضة قد فهمت الإثبات علي أنه تشبيه لله عز وجل – بخلقه فقالوا بالتعطيل والتأويل.

قال الأوزاعي: كنا والتابعون متوافرون يقول: إن الله تعالي ذكره فوق العرش ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات.

وسئل الزهري ومكحول عن تفسير أحاديث الصفات فقالا: أمروها كما جاءت. وروي مثل هذا الجواب عن الإمام مالك والثوري والليث فقالوا جميعا في أحاديث الصفات: أمروها كما جاءت بلا كيف"[١] .

وسنتحدث عن الصفات الواجبة لله تبارك وتعالي وما يستحيل وما يجوز في حقه.

---

١ - الثمرات الذكية في العقائد السلفية ، ص ٣٢ – ٣٣.

ونورد توضيح ذلك فيما يلي:

أولا: الواجب في حقه تعالي:

الواجب: هو الأمر الثابت الذي لا يقبل الانتقاء ومن ثم يجب علي المكلف أن يعتقد أن الله تعالي متصف بالصفات الجليلة القديمة الثابتة بالأدلة التفصيلية القطعية الثبوت وهي ثلاث عشرة صفة تتمثل فيما يلي:

١) الوجود وضده العدم
٢) القدم وضده الحدوث
٣) البقاء وضده الفناء
٤) قيامه بنفسه وضده المشابهة للحوادث
٥) الوحدانية وضدها التعدد
٦) العلم وضدها الجهل
٧) الإرادة وضدها الكراهية
٨) الحياة وضدها الموت
٩) القدرة وضدها العجز
١٠) السمع وضدها الصمم
١١) البصر وضدها العمي
١٢) الكلام وضدها البكم

وإليك الكلام تفصيلآ عن كل صفة من هذه الصفات.

أولآ: صفة وجود الله تبارك وتعالي:

ما من إنسان إلا وعنده شعور ذاتي أقوي من الشعور بالجوع والعطش بأنه مخلوق، وأن له خالقا، وأن العالم الذي يعيش فيه ويتمتع به موجدا حكيما رحيما قويا قادرا علي كل شئ. قال

تعالي: " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" [١].

فالدين الحق هو الفطرة والخلقة التي خلق الله الإنسان عليها، لا يشك في ذلك ذو عقل يفكر به تفكيرا حرا بعيدا عن مؤثرات البيئة والتقاليد والمواريث الفاسدة، وما من إنسان غفل عن الله تعالي في وقت من الأوقات أو أنكر وجود الله متأثرا بالمللين إلا وجاءت عليه أوقات سمع فيها نداء ضميره، وصراخ ذاته الباطنة، وهتاف وجدانه والكل يقول له: إنك صنعة الله وعبد الله، ومخلوق الله.

وإن كل ما يقال سوي ذلك خرافة وهراء وضلال، فلا يمكن أن يفسر هذا العالم العظيم وهذا الكون المصمم تصميما في منتهي الدقة بأنه من صنع الصدفة إن الذي يصدق بالصدفة، ولا يصدق بالقدرة الإلهية التي أوجدت هذا العالم وتتصرف فيه بحريه وكمال ودقة هو إنسان فقد عقله، وضل طريقه، ولا يصلح أن يكون حكيما في أي قضية من قضايا العدل.

وقال المتكلفون: إن الدليل علي وجود الله تعالي هو وجود هذه المخلوقات؛ لأن كل صفة لابد لها من صانع، والعالم صنعه، والصانع هو الله، وقالوا : إن أهلا قالوا:إن العبرة علي البعير وأثر السير تدل علي المسير، فقال قيس بن ساعدة قبل الإسلام: سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاح، وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك كله علي الله اللطيف الخبير"[٢].

ومن أقوال الفقهاء علي أدلة وجود الله تبارك وتعالي فقد كان أبو حنيفة رحمة الله سيفا علي الدهرية وكانوا ينتهزون الفرصة ليقتلوه ، فبينما هو يوما ما في مسجده قاعد إذ هجم عليه جماعة بسيوف مسلولة، وهموا بقتله، فقال لهم" أجيبوني عن مسألة ثم أفعلوا ما شئتم فقالوا له: هات ، فقال: ما تقولون في رجل يقول لكم : إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال مملوءة من الأثقال وقد احتوشها في لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة ، وهي من بينها تجري مستوية ليس لها ملاح يجريها ، ولا متعهد يدفعها ، هل يجوز ذلك في العقل ؟

---

١ - سورة الروم (٣٠) .
٢ - عقيدة المسلم من الكتاب والسنة.

قالوا : هذا شئ لا يقبله العقل ، أبو حنيفة " سبحان الله " إذا لم يجيز العقل سفينة تجري في البحر مستوية من غير متعهد ولا مجر فكيف يجوز قيام هذه الدنيا علي اختلاف أحوالها وسعة أطرافها، وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ؟ فبكوا جمعيا، وقالوا " صدقت " وأغمدوا سيوفهم وتابوا " [١] .

سألوا الشافعي: ما الدليل علي وجود الله ؟ فقال : ورقة الفرصاد (التوت) طمعها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم ، قالوا : نعم قال : فتأكلها دودة القز فيخرج منها الابريسم ، والنحل فيخرج منها العسل ، والشاة فيخرج منها البعر، وتأكلها الظباء ، فينعقد في نوافحها المسك ، فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الطبع واحد ؟ فاستحسنوا منه ذلك وأسلموا علي يده وهم سبعة عشر.

وسئل الإمام أحمد بن حنبل عن ذلك فقال " ها هنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الأريز، فبينما هو كذلك إذا جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح " يعني البيضة إذا خرج منها الفرخ "[٢].

ومن الأدلة القطعية من كتاب الله تبارك وتعالي علي وجود الله تبارك وتعالي قوله عز وجل :((إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)) [٣].

فالسماء القائمة بغير عمد والنجوم الدائرة في أفلاكها والكواكب المنتظمة حول شموسها والقوانين التي تحكم الروابط بينها ومسار كل نجم في فلك لا يعدوه ، وانتظام كل جرم فيها عائلة مماثلة ، وجري كل شئ بسرعة كل ذلك في فضاء لم يدرك علم الناس سمعته ولم يكشف سوي القليل من أسراره ، مع أن الإنسان علي مدي التاريخ يحاول ويجهد نفسه في

---

١ - تبسيط العقائد الإسلامية (ص٤٢) .
٢ - المرجع السابق
٣ - البقرة ، آية (١٦٤).

المحاولة ليكشف أسرار الكون ، وأكتشف فعلا أسرارا كثيرة انتفع بها ، ولكنه اكتشف مع ذلك أن ما يجهله أضعاف أضعاف ما يعلمه . وصدق الله القائل :(وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) [١] . ومن المعلوم البدهي أن موجد الشئ لا يكون معدوما لأن المعدوم لايعطي الموجود .

ثانيا: صفة الأول :

معناه : أن الله تعالي أزلي، لا أول لوجوده، ولا أخر لوجوده وأنه لم يسبقه عدم لقوله تعالي : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) [٢].

وأخرج الإمام البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي "صلي الله عليه وسلم" قال " كان الله لم يكن شئ قبله وكان عرشه علي الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شئ ".

وقال صلي الله عليه وسلم: "اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ".

ويقول صاحب شرح العقيدة الطحاوية " قديم بلا ابتداء ودائم بلا انتهاء هو معني اسمه الأول والآخر،والعلم بثبوت هذين الوصفين مستقر في الفطرة فإن الموجودات لابد أن تنتهي إلي واجب للوجود لذاته ، قطعا للتسلسل .

فإن نشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك ، وهذه الحوادث وغيرها ليست ممتنعة ، فإن الممتنع لا يوجد ، ولا واجبة الوجود بنفسها ، فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم، وهذه كانت معدومة ثم وجدت فعدمها ينفي وجودها ووجودها ينفي امتناعها . وما كان قابلا للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه كما قال تعالي (أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون) . يقول سبحانه : أحدثوا من غير محدث أم هم أهم أحدثوا أنفسهم ؟

---

١ - الإسراء ، (٨٥) .
٢ - الحديد (٢) .

كما قال أيضا صاحب العقيدة الطحاوية إن القديم ليس من أسماء الله الحسني بل جاء الشرع باسمه الأول وهو أحسن من القديم، لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له، بخلاف القديم والله تعالي له الأسماء الحسني لا الحسنة [١].

ثالثا : صفة البقاء :

ومعناها : أن الله تعالي لا آخر له . فلا يعتريه فناء، بل البقاء ملازم له أبدا . فالمولي عزوجل يمتنع ويستحيل لحوق العدم به، لأنه تعالي لو جاز وأمكن فى العقل ان ينفى لكان حادثا ولم يكن قديما مع أنه تعالى ثبت قدمه، وأيضا اتفق العقلاء على أم ما لا أول له لا أخر له ، وأن من ثبت قدمه استحال عدمه وضد البقاء والفناء، وهو مستحيل على الله تعالى عقليه وشرعية ، أما العقلية فقد ذكرناها ، وأما الشرعية النقلية فلقوله تعالى :

(كل من عليها فان *ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) [٢]

وقال تعالى: (كل شئ هالك الا وجهة له الحكم واليه ترجعون) [٣]

وقال تعالى : (وتوكل علي الحي الذي لا يموت وسبح بحمده). [٤]

وروي مسلم عن النبي صلي الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالي : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن)، وقوله " أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ. [٥]

صفة الوحدانية : معناها : أن الله واحد في ذاته وواحد في صفاته ، وواحد في أفعاله فليس في الوجود ذات تشبه ذات الله تعالي وليس أحدا متصفا بصفة تشبه الله تعالي وليس لأحد غير الله فعل يشبه فعل الله .

الدليل علي وحدانية الذات : يقول الدليل علي هاتين الآيتين :

الأولي : قوله تعالي :(لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) [١].

---

١ - شرح العقيدة الطحاوية (ص١١٣).
٢ - الرحمن (٢٦ ــ ٢٧) .
٣ - القصص (٨٨).
٤ - الفرقان ، (٥٨) .
٥ - شرح العقيدة الطحاوية (١١٣) .

الثانية :قوله تعالي :(ماتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم علي بعض سبحان الله عما يصفون) [٢] .

وذلك لأننا لو فرضنا وجود أكثر من إله ، كان لابد أن يكون لكل منهم من العلم والإرادة والقدرة مايخالف بداهة ما للآخر من هذه الصفات وهذا يكون من شأنه أن يؤدي إلي الاختلاف في الأفعال وتدبير العالم ، ومن ثم يكون لابد من فساد السماوات والارض وما بينها .

وقد يؤدي إلي عدم وجود هذا العالم بسبب التضارب بين هذه الصفات التي ثبتت لكل منهم ومايكون عنها من آثار ، ولكن العالم بجميع أجزائه موجود علي أحسن نظام ، فكان لابد ان يكون خالقه وموجده إلها واحدا لا شريك له .

قال تعالي :(سبحانه هو الله الواحد القهار) [٣]

وقال تعالى : (قل هو الله احد الله الصمد * لو يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا احد) [٤]

فهو تعالى أحد : أى واحد فى ذاته وفى صفاته وفى افعاله .

وهو الصمد : أى الغنى الذى يقصده الناس فى حوائجهم لاحتياجهم إليه وغناه عنهم

لم يلد : أى ينبثق عنه ولد ؛ فهو غاية الكمال.

ولم يولد : أى لم ينبثق من غيره ،لأنه لا أول لوجوده.

ولم يكن له كفوا أحد : أى لم يكن ولم يوجد أحد يساويه ويماثله.

<u>الدليل على واحدانية الصفات :</u>

وهو أنه لو كان لأحد صفة مثل صفة الله تعالى فى الكمال لكان هذا الأحد إلها آخر ، والاله الآخر مستحيل ، فيستحيل على هذا أن يتصف أحد بصفة تشبه صفة الله فى الكمال،

---

١ - الأنبياء (٢٢).
٢ - المؤمنون (٩١)
٣ - الزمر (٤) .
٤ - سورة الإخلاص.

فان قيل أن هناك صفات يتصف بها البشر تتفق فى الاسم مع الصفات التى يتصف بها الله فيقال: فلان عالم ، قادر ، مريد ، سميع بصير ، متكلم ، حليم ، رحيم ، كريم .

وقد وصف النبى (صلى الله عليه وسلم)فى القرأن بالرافة والرحمة، كما وصف ابراهيم (عليه السلام) بالحلم ، قال تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)، وقال تعالى: (إن إبراهيم لحليم أواه منيب) [١]

فهل الدين يوصفون بما وصف به الاله يعتبرون الهة؟

والجواب: هو أن الله تعالى وصف بصفة فإن هذه الصفة تكون كاملة كمالا مطلقا يليق بالله وأما الانسان وغيره فإنه إذا ما وصف بصفة، فان هذه الصفة تكون مناسبة للموصوف الذى هو الانسان مثلا ، فهى صفة محدوده بحدود الطاقة الانسانية لا تتعداها ، ولذلك حين جاء المرسلون بالمعجزات – وهى امور فوق طاقة البشر – لم ينسبوا هذه المعجزات لأنفسهم ، لأن طاقتهم محدوده، وإنما قالوا: هذه المعجزات من صنع الله وحده، وقد أظهرها على أيدينا دليلا على أنه اختارنا لنبلغ دينه وأننا صادقون فى قولنا "أننا رسل الله ".

الدليل على واحدانية الفعل :

معناها : أنه لا يوجد فعل لغيره تعالى يشبه فعله عز وجل بدليل أنه لو كان لغيره تعالى فعل يشبه فعله تماما لكان هذا الفاعل متصفا بصفات الله، وحينئذا يكون الها اخر . وقد ثبت أن تعدد الإله مستحيل . فوجود فعل لأحد كفعل الله مستحيل[٢] .

قال تعالى: (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون) [٣]. وقال تعالى : (فعال لما يريد) [٤].

صفة القدرة: معناها: صفة وجودية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه . فهو تعالى يحيى ويميت ، ويضر وينفع ، ويمرض الناس ، ويشفيهم ، وكل ذلك يجرى على

---

١ - سورة هود (٧٥).
٢ - تبسيط العقائد الإسلامية.
٣ - القصص (٨٦) .
٤ - البروج (١٦) .

نهاية الكمال دون اختلال فى الكون ولا سبيل للعجز والنقصان عليه سبحانه وتعالى . فالكون كله فى قبضته وتحت سلطان ارادته ، تعالى عما يقول الظالمون علة كبيرا [١] .

الدليل العقلى على وجوبها لله : الله صانع قديم له مصنوع حادث، وكل من كان كذلك تجب له القدره والاختيار فالله تجب له القدره والاختيار .

الدليل النقلى: قال تعالى: (إن الله على كل شيء قدير) . وقوله :(إن الله هو الرازق ذو القوة المتين) [٢]. (وكان الله على كل شيء مقتدرا) [٣] . الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير) [٤].

صفة الإرادة:

الإرادة لغة: القصد ويرادفها فى المعنى المشيئة، ومعناها فى عرف علماء التوحيد واصطلاحهم : أنها صفة قديمه قائمه بذات الله تعالى يخصص بها الممكن ببعض ما يجوز عليه .

ومعنى هذا أن الإراده صفة قديمة مثل كل صفات الله تعالى عملها وتعلقها يكون بالأمور الممكنه فهى لا تتعلق بالواجب ولا بالمستحيل .

وعملها وتعلقها بالممكن يكون من اجل تخصيص الممكن ببعض مايجوز عليه .

فمثلا : وجود أى شخص من الناس وعدمه امران ممكنان تختار الارادة واحدا منهما وكون هذا الشخص يوجد فى زمن ما دون غيرها من الجهات ، وكون هذا الشخص يوجد بمقدار معين فى الوزن والقياس دون غيره ؛ هذا كله تخصصه الإرادة وتحدده.

فعمل الإرادة فى الممكنات هو أشبه بما نسميه فى عصرنا هذا "بالتخطيط" فهى تخطط تخطيطا مبنيا على العلم ، والقدره تنفذ ما حددته وخصصته وخططته الارادة ، وعلى هذا

---

١ - عقيدة المسلم من الكتاب والسنة (ص ٤٨) .
٢ - الذاريات (٥٨) .
٣ - الكهف (٤٥)
٤ - الطلاق (١٢) .

تكون القدرة مثل الإرادة أيضًا بالممكنات ولا تتعلق ولا تعمل فى الوجبات ولا فى المستحيلات لأن الواجب عقلا هو الأمر الثابت الذى لا يبل الانتقاء والعدم .

والقدرة مثل الإرادة أيضًا فى صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى غير أن عملها وتعلقها بالممكن يكون لإيجاده أو إعدامه على وفق إرادته .

والإرادة والقدرة تشملان جميع الممكنات ، فلا يخلق من ملك الله أمر لم يريده وإلا بقدرته وإلا كان غافلا أو مكرها والكل مستحيل على الله تعالى، كما لا يقع فى ملك الله أمرا إلا بقدرته وإلا كان عاجزا والعجز على الله محال فثبت لله تعالى صفتا الإرادة والقدرة واستحال عليه أن يكون مكرها أو عاجزا.

قال تعالى: (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) [١]، وقال سبحانه وتعالى: (فعال لما يريد) [٢]، وقال تعالى:(إن الله يفعل ما يريد) [٣]، وقال تعالى: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميرا) [٤] .

صفة الحياة :

صفة قديمة بالذات العليه تصح لموصوفها الاتصاف بالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر ونحوها من الصفات اللائقة بذاته تعالى .

والدليل على وجوبها لله تعالى أنه متصف بالقدرة والإرادة والعلم وكل من كان كذلك تجب له الحياة فالله تجب له الحياة وقد علم بالضرورة وثبت بالنص إن الله سبحانه وتعالى حى وانعقد على هذا إجماع أهل الأديان بل جميع العقلاء .

الدليل النقلى قال الله تعالى: (الله لا اله لا هو الحى القيوم) [٥]، قال تعالى: (وعنت الوجوه للحى القيوم) [٦] ، (وتوكل على الحى الذى لا يموت) [١] .

---

١ - يس (٨٢).
٢ - البروج (١٦) .
٣ - الحج (١٤) .
٤ - الإسراء (١٦) .
٥ - آل عمران (٢).
٦ - الفرقان (٨٥)

صفه العلم :

هو صفة قائمة بذاته تعالى تتعلق بالواجب والجائز والمستحيل تعلق أحاطه وشمول بدليل قوله تعالى: (وأن الله قد أحاط بكل شيء علما).

فعلمه تعالى محيط بالأشياء كلها من الثرى إلى العلا فى كل الأزمان أولها وأخرها وهو يختلف عن علم الإنسان ، فعلى سبيل المثال: إذا أخذنا قدرا من القمح ووضعناه فى الأرض فالإنسان يعجز عن علم ما ينتج منه محصول ومن الذى يتغذى به ، وأين يباع ما يباع منه والذى سيزرع منه مره ثانية ، وأما الله تعالى فيعلم ذلك كله كما يعلم تاريخ هذا القدر من القمح منذ أول ظهوره إلى أن وقع فى يد الفلاح، وهذا شمول العلم واحاطته وهو شمول يستحيل مثله للانسان[٢] .

صفة السمع والبصر :

فالسمع صفة من صفات الله تعالى القديمة القائمة بذاته، تتكشف بها جميع المسموعات وسمع الله تعالى ليس باذن وصماخ وغيرها مما يتركب منه أداة السمع عند المخلوقات ، وإنما الله سمع يليق بذاته تعالى ضده وهو الصمم، لأن الصمم نقص والنقص فى حقه تعالى محال، فثبت له صفة السمع فهو يسمع دبيب النمله السودا على الصخرة الملساء فى الليلة الظلماء بلا أذن ولا صماخ .

أما البصير فهو صفة من صفات الله تعالى القديمة القائمة بذاته تعالى تتكشف بها جميع المبصرات. وبصر الله تعالى لا يشبه فى شيء بصر مخلوقاته، وإنما له بصر يليق بذاته. ويستحيل عليه تعالى ضده وهو العمى ،لأنه نقص والنقص فى حقه تعالى محال ومن شرط الخالق المبدع الحكيم أن يكون الله جل جلاله سميعا بصيرا وإلا لم يكن كاملا[٣].

---

١ - الطلاق (١٢) .
٢ - عقيدة المسلم (ص ٥٠) .
٣ - تبسيط العقائد الإسلامية (ص٩١).

قال تعالى حكاية لقول إبراهيم (عليه السلام) لأبيه: (يا أبت لم تعد ما لا يسمع ولا يبصر ويغنى عنك شيئا) [١] .

وقال لموسى وهارون:(قال لا تخافا أننى معكما أسمع وأرى) [٢]، وقال تعالى:" قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير"[٣].

صفة الكلام :

من صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قدم يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام من غر واسطة ، وسمعه جبريل عليه السلام ، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين فى الاخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه، قال تعالى:(وكلم الله موسى تكليما) [٤]. وقال تعالى:(وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب) [٥]، وقال سبحانه (فلما أتاها نودى يا موسى * إنى أنا ربك) [٦].

وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله ، وقال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : إذا تكلم الله الوحى سمع صوته أهل السماء. [٧]

وروى عن عبد الله بن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " يحشر الله الخلائق يوم القيامه عراة حفاة غر لا بهما فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان "[٨] .

وفى بعض الآثار أن موسى ـ عليه السلام ـ ليلة رأى النار فهالته ففزع منها فناداه ربه "ياموسى" فأجاب سريعا استئناسا بالصوت فقال: لبيك أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين

---

١ - مريم (٤٢).
٢ - طه (٤٦).
٣ - سورة المجادلة، آية: (١) .
٤ - النساء (١٦٤).
٥ - الشورى (٥١) .
٦ - طه (١١ ــ ١٢) .
٧ - رواه البيهقي
٨ - رواه البخاري.

أنت؟، فقال: أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك، فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى قال: كذلك أنت يا إلهى فكلامك اسمع أم كلام رسولك ؟ قال بل كلامي.

وقال الإمام الطحاوى :" إن القران كلام منه الله منه بدأ بلا كيفيه قولا ، وأنزله على رسوله وحيا وصدقة المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق كلام البرية . فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر؛ وقد ذمه الله وعابه واوعده سقر حيث قال:(إن هذا إلا قول البشر* سأصليه سقر)[١]. علمنا وأيقنا أنه قول: " خالق البشر ولا يشبه قول البشر "[٢] .

وقال ابن قدامه في كتابه أصول الاعتقاد معرفا القرآن: "ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم وهو كتاب الله المبين وحبله المتين وصراطه المستقيم، تنزيل رب العالمين، نزل الروح الأمين على قلب سيد المرسلين، بلسان عربى مبين منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وهو سور محكمات وآيات بينان وحروف وكلمات، من قراه فأعربه فله بكل حرف حشر حسنات، له أول وأخر وأجزاء وأبعاض، متلو بالألسنة، محفوظ فى الصدور، مسموع بالأذان، مكتوب فى المصاحف، فيه محكم ومتشابهه وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهى (لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) [٣]. وقال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) [٤].

وقال الذين كفروا(لن نؤمن بهذا القران) [٥]، وقال بعضهم: (إن هذا إلا قول البشر) [٦]، فقال فقال سبحانه (سأصليه سقر) ، وقال بعضهم هذا القرآن عبارة عن شعر فقال الله عز وجل: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) [٧]. فلما نفى الله عنه أنه شعر

---

١ - المدثر ، آية (٢٥ ــ ٢٦) .
٢ - شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي الحنفي (ص ١٦٧).
٣ - سبأ، الآية: (٣١).
٤ - المدثر، آية: (٢٥).
٥ - سبأ، آية: (٣١).
٦ - المدثر ، آية : (٢٥).
٧ - يس ، (٦٩).

شعر وأثبته أنه قران لم يبق شبهة لذي لب أن القران هو الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد أنه شعر .

قال تعالى: (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وأدعو شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) [١] . وقال شيخ الإسلام: "إن القرآن كلام الله منزل ، غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، وأن الله تكلم به حقيقة ، ولا يجوز إطلاق القول : بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة منه ، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف، لم يخرج بذلك عن أن كلام الله حقيقة ، فان الكلام إنما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغا مؤديا ، وهو كلام الله، حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف [٢].

واختلف العلماء فى مسالة صفة الكلام إلى تسعة أقوال :

إحداها : أن كلام الله ما يفيض على النفوس من معاني ، أما من العقل الفعال عند بعضهم أو من غيره ، وهذا قول الصابئة والمتفلسفة.

ثانيها : أنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه ، وهذا قول المعتزلة.

ثالثها: أنه معنى واحد قائم بذات الله وهو الأمر والنهى ، والبر والاستخبار، أن عبر عنه بالعربية كان قران، وأن عبر عنه بالعبرانية كان توراة ، وهذا قول ابن كلب ومن وافقه كالأشعرى وغيره.

رابعها : أنه حروف وأصوات أزليه مجتمعه فى الأزل ، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث .

خامسها : أنه حروف وأصوات تكلم الله بها بعد إن لم يكن متكلما، وهذا قول الكرامية.

سادسها: أنه كلام يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته ، وهذا قول صاحب المعتبر . ويميل إليه الرازى فى المطالب العالية .

---

١ - البقرة ، آية (٢٣) .

٢ - العقيدة الوسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٥٧ ــ ٥٨) .

سابعها: أنه كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه فى غيره ، وهذا قول أبى منصور الماتريدى.

ثامنها: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات، وبين ما يخلقه فى غيره من الأصوات ، وهذا قول أبى المعالى ومن اتبعه .

تاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديما وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة ، والراجح ما ذهب إليه أهل السنة وغيرهم من السلف والخلف على أن الكلام الله غير مخلوق ، وأن ما بين دفتى المصحف كلام الله.

والذى يدل عليه كلام الطحاوى رحمة الله أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء وكيف شاء وأن نوع كلامه قديم ، وكذلك ظاهر كلام الإمام حنيفه رضى الله عنه فى الفقه الأكبر فإنه قال : "والقرآن فى المصاحف مكتوب وفى القلوب محفوظ وعلى الألسن مقروء ، وعلى النبى صلى الله عليه وسلم منزل، ولفظنا بالقرآن مخلوق، والقرآن غير مخلوق، وما ذكر الله في القرآن عن موسي عليه السلام وغيره ، وعن فرعون وإبليس فإن ذلك كلام الله اخبارا عنهم ، وكلام موسي وغيره من المخلوقين مخلوق، والقرآن كلام الله لا كلامهم، وسمع موسي عليه السلام كلام الله تعالي، فلما كلم موسي بكلامه الذي هو من صفات لم يزل، وصفاته كلها علي خلاف صفات الخلوقين[١] .

أما المعتزلة فقد فسروا كلامه تعالي بناء علي حقيقة الكلام عندهم فقالوا: إن كلامه تعالي أصوات وحروف ليست قائمة بذاته تعالي، بل يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ أو جبريل أو النبي صلي الله عليه وسلم، وهو حادث وأن القرآن فعل من أفعال الله . ويقول القاضي عبد الجبار: إن القرآن كلام الله تعالي ووحيه وهو مخلوق محدث، أنزله الله علي نبيه لكون

١ - العقيدة الطحاوية (ص ١٧٦ ــ ١٧٧) .

علماً ودالا علي نبوته وجعله دلالة لنا علي أن الأحكام ترجع إليه في الحلال والحرام ، واستوجب منا بذلك الحمد والشكر والتحميد والتقديس[١].

الفصل الثامن

الإيمان بالملائكة

في هذا الفصل نتحدث عن الركن الثاني من أركان الإيمان وهو الإيمان بالملائكة ، فنعرف الملائكة وحكم الإيمان بهم، ونبين صفاتهم الخلقية ، وأنواعهم ، والمفاضلة بينهم وبين صالحي البشر ثم نوضح أثر الإيمان بالملائكة في حياة المسلم .

لذا أري أن هذا الفصل يقسم إلي المباحث التالية :

المبحث الأول : تعريف الملائكة وأدلة وجوب الإيمان بهم .

المبحث الثاني : صفات الملائكة الخلقية .

المبحث الثالث : أنواع الملائكة .

المبحث الرابع: المفاضلة بينهم وبين البشر وأثر الإيمان بالملائكة .

المبحث الخامس: الإيمان بالجن .

ونورد توضيح ذلك في ما يلي :-

---

١ - المرجع السابق (ص ١٧٨) .

المبحث الاول

تعريف الملائكة وأدلة وجوب الإيمان بهم

تعريف الملائكة:هي أجسام نورانية خلقهم الله من نور لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزوجون، وكلهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم يسبحون بالليل والنهار ولا يفترون، إن ملائكة الله عز وجل لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة فمن وصفهم بأنوثة كفر[١]

حكم الإيمان بالملائكة: واجب علي كل مكلف أن يعتقد اعتقادا جازما بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها . فهم نوع من مخلوقات الله عز وجل يصلح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم وبما ورد فى حقهم من صفات وأعمال فى كتابه سبحانه وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان ، ولا تحريف. [٢]

أدلة وجوب الإيمان بالملائكة :

ثبت وجود الملائكة بالأدلة القطعية من القران الكريم والسنة النبوية المطهرة .

أما القرآن الكريم: فيقول المولى تبارك وتعالى: (أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) [٣]، وقال سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر فقد ضل ضلالا بعيدا) [٤]

وفى الحديث: الذى أخرجه البخارى ومسلم عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ عندما سأل جبريل عليه السلام عن الإيمان قال صلى الله عليه وسلم: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[٥]، فوجود الملائكة ثابت بالدليل

---

١ - العقيدة الوسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٤) .
٢ - الإيمان للدكتور/ محمد نعين ياسين (ص٢٥).
٣ - البقرة ، الآية (٢٨٥).
٤ - النساء(١٣٦).
٥ - رواه الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب (١٥٧/١).

القطعى الذى لا يمكن أن يلحقه شك ومن هنا كان إنكار وجودهم كفرا بإجماع المسلمين، بل ينص القرآن العظيم ، فقد قال عز وجل: (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر فقد ضل ضلالا بعيدا).

المبحث الثانى

صفات الملائكة

أخبرنا الله تبارك وتعالى بأنه خلق الملائكة قبل خلق آدم عليه السلام إذ ورد فى القرآن أن الله أخبرهم بأنه سيخلق الإنسان ويجعله خليفة في الأرض إذ يقول تعالى : (وإذا قال ربك للملائكة أنى جاعل فى الأرض خليفه قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) [١].

فقد تضمن هذا النص وجود الملائكة ومخاطبة الله تعالى لهم، ومخاطبتهم له سبحانه وتعالى.

وأما عن المادة التي خلقوا منها، فقد أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم : أن الله خلقهم من نور فقد روى عن السيدة عائشه رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مأرج من نار وخلق ادم بما وصف لكم " [٢].

فمفاد النصوص فى مجموعها تدل أن الملائكة مخلوقات نورانيه ليس لها جسم مادي يدرك بالحواس الإنسانية ، وأنهم ليسوا كالبشر فلا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتناسلون مطهرون من الشهوات الحيوانية ومنزهون عن الآثام والخطايا ولا يتصفون بشيء من الصفات الماديه التى يتصف بها بنو ادم "

ومن صفاتهم أن لهم القدرة على أن يتمثلوا بصور البشر بإذن الله تعالى كما أخبرنا الله عز وجل عن جبريل عليه السلام أنه جاء إلى مريم فى صورة بشرية . قال تعالى : (واذكر فى

---

١ - سورة البقرة ، الآية (٣٠) .
٢ - رواه البخاري.

الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا * فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) [١] .

وجاء أيضا سيدنا جبريل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه يعلمهم أمور دينهم وذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه جاء على هيئة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر وأنه جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ثم شرع فى السؤال ومن صفاتهم الخلقية التي أخبرنا الله بها أنه جعل لهم أجنح' متفاوتون فى أعدادها فقال سبحانه :(الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحه مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير) [٢].

ومن صفاتهم إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، قال صلى لله عليه وسلم "من أكل من الثوم والبصل والكرات فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ".
وتتأذى كذلك من الأماكن التي يعصى فيها الله عز وجل فلا تدخلها ،قال النبي صلى الله عليه وسلم "الملائكة لا تدخل بيت فيه كلب ولا صورة " وهم منظمون فى كل شؤونهم وقد حثنا النبى صلى الله عليه وسلم على الاقتداء بهم فى ذلك فقال : الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟" قالو :وكيف يصفون عند ربهم ؟ قال: يكملون الصف الأول فالأول ويتراصون فى الصف ولا يملون ولا يتعبون من عبادة ربهم عز وجل قال تعالى : (يسبحون الليل والنهار ولا يفترون) [٣]، وقال عز وجل: (فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون) [٤].

---

١ - سورة مريم ، الآية (١٦ – ١٧) .
٢ - رواه مسلم.
٣ - الأنبياء ، (٢٠) .
٤ - فصلت ، الآية (٣٨) .

وهم مع عظم خلقهم واجتهادهم فى عبادة ربهم عز وجل وتنزههم عن المعاصي من أعظم الخلق خوفا من الله عز وجل قال تعالى : (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون * يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) [١].

١ - الشعراء (١٩٣ – ١٩٥) .

المبحث الثالث

أنواع الملائكة

قد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكله بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة ، ووكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته ووكل بالموت ملائكة ، ووكل بالسؤال فى القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالشمس والقمر ملائكة ، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة ، ووكل بالجنة وعمارتها وغرسها آلاتها ملائكة فالملائكة أعظم جنود الله. (١)

ويجب الإيمان بالملائكة التى وردت أسماؤهم فى الكتاب أو فى السنة بالتفصيل، ومن هؤلاء: جبريل ، وميكائيل ، واسرافيل .

فجبريل : موكل بالوحي الذى هو حياة القلوب والأرواح ، قال تعالى :(نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربى مبين) (٢)

ميكائيل : موكل بالقطر الذى به حياة الأرض والنبات والحيوان، وهو ذو مكانة عالية ومنزلة رفيعه وشرف عند ربه عز وجل وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه عز وجل .

أسرافيل : موكل فى النفخ فى الصور الذى به حياة الخلق بعد مماتهم . فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم وحسن جبهته وانتظر أن يؤذن له "قالو : كيف نقول يارسول الله ؟ قال : قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل وعلى الله توكلنا"(٣).

ملك الموت: وهو موكل بقبض الأرواح، قال تعالى : (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) (٤).

---

١ - العقيدة الطحاوية (ص ٣٠٠).
٢ - الشعراء ، (١٩٣ ـ ١٩٥) .
٣ - شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٠٠) .
٤ - رواه الترمذي.

منكر ونكير: وهما لسؤال القبر وهما شخصان هائلان عظيمان فيسألانه من ربك ومن نبيك فان استعجم – أى تعلثم لسانه ولم ينطق بالشهادتين ولم يجب – ضرب بمقمعة من حديد وملئ قبره نارا وحيات وعقارب بدليل قوله تعالى : "ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونشره يوم القيامة أعمي)

رقيب: وهو موكل بحفظ الحسنات .

عتيد : وهو حاضر للسيئات. بدليل قوله تعالى : (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)، ومن رحمة الله بعباده أن جعل رقيبا رئيسا على عتيد فإن فعل العبد حسنة كتبها حسنة ، وإن فعل سيئة يقول عتيد لرقيب: اكتب فيقول : انتظر لعله يستغفر فيغفر له إلى أن تمر عليه ست ساعات فلكيه فيقول رقيب اكتب أراحنا الله .

خزنة الجنة ومقدمهم رضوان عليهم السلام :قال تعالى : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) [١]

خزنه جهنم : وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر ، ومقدمهم مالك عليه السلام قال تعالى : (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون) [٢] .

حملة العرش : قال تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا). [٣]

ويجب أن يعرف عليه ملائكة ليلا وملائكة نهارا عشرة ليلا وهم ينزلون فى صلاة العصر وعشرة نهارا ينزلون فى صلاة الفجر لقوله تعالى : (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) [٤] أى: تشهده الملائكة "ملائكة الليل والنهار".

---

١ - الزمر (٧٣)
٢ - الزخرف (٧٧) .
٣ - غافر (٧)
٤ - الإسراء (٧٨)

وما روى فى الأثر عن عثمان بن عفان أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "كم للعبد من ملك، قال: ملك على ناصيته وملك على عينيه وملك على أنفه وملك على شفتيه وملك تحت قدميه وملك عن يمينه وملك عن شماله وملك خلفه وملك أمامه.

قال تعالى : (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) [١] .

ومعنى أمر الله : أى بأمر الله، أى أن للإنسان معقبات ملائكة تعقبه ليلا وملائكة تعقبه نهارا وتحفظه بأمر الله [٢].

المبحث الرابع

المفاضلة بين الملائكة والبشر

قد تكلم العلماء فى المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة ، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة ، وإتباع الأشعرى على قوانين : منهم من يفضل الأنبياء الملائكة . وحكي ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية وقالت الشيعة : أن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة .

والإمام أبو حنيفة لم يقطع فى التفاصيل بين البشر والملائكة بجواب .

وهذا هو الحق ، فإن الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيين وليس علينا أن نعتقد اى الفريقين أفضل ، فان هذا لو كان من الواجب لبين لنا نصا. وقد قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم) [٣] ، وقوله تعالى : (وما كان ربك نسيا) [٤] .

وفى الصحيح "إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تسالوا عنها " [١] ، فالسكوت عن الكلام فى هذه المسائل نفيا وإثباتا.

---

١ - الرعد ، آية (١١) .
٢ - عقيدة المؤمن (ص ٥٧) .
٣ - شرح العقيدة الطحاوية (٣٠٢).
٤ - المائدة (٦).

والحالة هذه أولى . ولا يقال: أن هذه المسالة نظير غيرها من المسائل المستنبطه من الكتاب والسنة ،لأن الأدلة هنا متكافئة على ما أشير إليه ، أن شاء الله تعالى . وأن بعض الجاهلين يسيئون الأدب بقولهم : كان الملك خادما للنبي صلى الله عليه وسلم .

أو :إن بعض الملائكة خدام بني ادم ؛ يعنون الملائكة الموكلين بالبشر ،ونحو ذلك من الألفاظ المخالفة للشروع الجانية للأدب

أدلة تفضيل الأنبياء على الملائكة :

أولا: أن الله أمر الملائكة أن يسجدو لآدم، وذلك دليل على تفضيله عليهم. وقال الآخرون : أن سجود الملائكة كان امتثالا لأمر ربهم وعبادة وانقيادا وطاعة له وتكريما لادم وتعظيما ، ولا يلزم من ذلك الأفضلية ، كما لم يلزم من سجود يعقوب لابنه عليهما السلام تفضيل ابنه عليه ، ولا تفضيل الكعبة على بنى آدم يسجدون إليها امتثالا لأمر ربهم .

ثانيًا: أن الملائكة لهم عقول وليست لهم شهوات والأنبياء لهم شهوات والأنبياء لهم عقول وشهوات، فلما نهو أنفسهم عن الهوى ومنعوها عما تميل إليه الطباع، كانوا بذلك أفضل . وقال الأخرون: يجوز أن يقع (من الملائكة)(من) مداومة الطاعة وتحمل العبادة وترك الونى والفتور فيها ما يفى بتجنب الأنبياء شهواتهم ومع طول مدة عبادة الملائكة .

ثالثًا: أن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها . وقال الأخرون: هذا دليل على الفضل لا على التفضيل، وآدم والملائكة لا يعلمون إلا ما علمهم الله، وليس الخضر أفضل من موسى ، بكونه علم ما لم يعلمه موسى .

وقد سافر موسى وفتاه فى طلب العلم إلى الخضر وتزود لذلك وطلب موسى منه العلم صريحا . وقال الخضر : أنك على علم من علم الله إلى أخر كلامه.

ولا الهدهد أفضل من سيدنا سليمان عليه السلام ، بكونه أحاط بما لم يحيط به سليمان عليه السلام {علماْ} . [٢]

---

١ - مريم (٦٤) .
٢ - العقيدة الطحاوية (ص ٣٠٤) .

رابعًا : حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أن الملائكه قالت يا ربنا أعطيت بنى آدم الدنيا ياكلون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح بحمدك ، ولا ناكل ولا نشرب ولا نلهو فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الاخرة ؟ قال لا اجعل صالح ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان ".

خامسًا: ومما يدل على تفضيلهم أن الله عز وجل يباهى بأهل الايمان والطاعة ملائكته إذا أدوا ما أوجبه عليهم . كما يباهى بأهل عرفات فعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أن الله يباهى بأهل عرفات أهل السماء فيقول: لهم انظرو إلى عبادى هؤلاء جاءونى شعثا غبرا"[١] .

ومما استدل به على تفضيل الملائكة على البشر :

أولا: قوله تعالى: (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكه المقربون) النساء ١٧٢ وقد ثبت من طريق اللغة أن هذا الكلام يدل على المعطوف أفضل من المعطوف عليه ، لأنه لا يجوز أن يقال: لن يستنكف الوزير أن يكون خادما للملك ولا الشرطى أو الحارس ؛ وإنما يقال: لن يستنكف الشرطى أن يكون خادما للملك أو الوزير .

ففى مثل هذا التركيب يرتقى من الأدنى إلى الأعلى فإذا ثبت حق غيره . وأجاب الآخرون بأجوبة أحسنها أنه لا نزاع فى فضل قوة الملك وقدرته وشدته وعظم خلقه ، وفى العبودية خضوع وذل وانقياد وعيسى عليه السلام لا يستنكف عنها ولا من هو أقدر منه وأقوى وأعظم خلقا. ولا يلزم من مثل هذا التركيب الأفضلية المطلقة من كل وجه".

ثانيا: ومما استدل به به على البشر قوله تعالى : (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب وأقول لكم إنى ملك) الأنعام ، الآية (٥٠).

ومثل هذا يقال بمعنى: إنى لو قلت ذلك لادعيت فوق منزلتى ولست ممكن يدعى ذلك، أجاب الاخرون : أن الكفار كانوا قد قالوا: (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى

---

١ - الثمرات الزكية في العقائد السلفية (ص ١٦٢) .

الأسواق)، فأمر أن يقول لهم: أنى بشر مثلكم احتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من الاكتساب والأكل والشراب ، لست من الملائكة الذين لم يجعل الله لهم حاجة إلى الطعام والشراب فلا يلزم حينئذا الأفضلية المطلقة.

ثالثا: ما روى مسلم باسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير". ومعلوم أن قوة البشر لا تدنى قوة الملك ولا تقاربها ... ، وقال الآخرون الظاهر أم المراد المؤمن من البشر – والله اعلم – فلا تدخل الملائكة فى هذا العموم .

رابعا: ما ثبت فى الصحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل : " أنا عند حسن ظن عبدى بى وأنا معه أن ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملاء خير منهم "، وهذا نص فى الأفضلية، وقال الآخرون : يحتمل أن يكون المراد خيرا منه للمذكور لا الخيرية المطلقة .

قال شيخ الاسلام ابن تيميه : " أن صالحى البشر أفضل باعتبار كمال النهاية . وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى وسكنوا بالنظر إلى وجهه الكريم ؟ وقامت الملائكة فى خدمتهم بإذن ربهم . والملائكة أفضل باعتبار البداية ، فإن الملائكة الآن فى الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقون فى عباده الرب ، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر، قال ابن القيم : بهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق ويصالح كل كل منهم على حقه والله أعلم بالصواب [١] .

عصمة الملائكة:

قال جمهور العلماء: " أن معصمون من الذنوب ومخالفة الله تعالى فى أى أمر . وما ورد فى القرآن مما يوهم غير ذلك يجب حملة على الوجه المناسب لعصمتهم . فمن اعتراض بأن إبليس كان من الملائكة فعصى : أجيب بأن الله وصف الملائكة بأنهم لا يعصون الله

١ - الثمرات الذكية في العقائد السلفية (ص ٣٦٣) .

ما أمرهم ، وقد ذكر القرآن أن إبليس كان من الجن كما استثنى من الملائكة وذلك يدل على أنهم منهم .

والتوفيق السليم أن يقال : أن إبليس كان من الجن حقيقة، وكان من الملائكة حكما ، أى لشدة عبادته وبعده عن المخالفة أول الأمر كان شبيها بالملائكة فاخذ حكمهم .

ومن اعترض بقول الملائكة لله فى ادم قبل خلقه . (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) [١].

أجيب بأن الملائكة لله لم ترد بهذا القول غيبة ادم . ولا تزكية أنفسهم ولا الظن السيء كما قد يتوهم ، وإنما أرادو السؤال عن الحكمة فى خلق آدم فى الارض ، وكانو قد علموا عن الله تعالى ما يحصل من ذريته من الإفساد أو قولهم سبية أن الأرض كانت مسكونة قبل ادم بمخلوقات أفسدت وسفكت الدماء . ومن اعتراض بأن هاروت وماروت قيل أنهما كانا ملكين بكسر اللام وقرئ بذلك ، وحينئذ فلا إشكال لأنهما آدميان .

القول الثانى: إنهما نزلا بأمر الله فى زمن كثر فيه السحر والسحرة ودعوى السحرة أنهم أنبياء لأنهم يأتون بأمور خارقة للعادة، فنزل الملكان فى صورة بشر وعلما الناس السحر حتى يكذبوا السحرة فى ادعائهم النبوة ، وتعلم السحر للتوقى من ضرره غير محظور وغير ممنوع، بل قد يكون مطلوبا . وبهذا ثبت عصمة الملائكة ، وتسقط الاعتراضات الموجهه إليهم.

أثر الإيمان بالملائكة فى العقيدة الإسلامية :

للإيمان بالملائكة له أثار عظيمة وجليل فى نفس المؤمن منها :

أولا : الأستقامة على أمر الله عز وجل، فإن من يستشعر بقلبه وجود الملائكة جنود الرحمن ويؤمن برقابتهم لأعماله وأقواله وشهادتهم على كل ما يصدر عنه ليستحى من الله ومن

---

١ - سورة البقرة ، (٣٠) .

جنوده ، فلا يخالفه ولا يعصيه لا فى العلانية ولا فى السر إذا كيف له ذلك وهو يعلم أن كل شيء محسوب ومكتوب ومشهود عليه.

ثانيا: شكر الله تعالى – على عنايته ببنى آدم ،حيث وظف من الملائكة من يحفظهم ويرفع دعواتهم ويستغفر للمؤمنين منهم ويبلغهم بشارات الله عز وجل لهم .

ثالثا: الصبر ومواصلة الجهاد فى سبيل الله تعالى وعدم الياس والشعور بالأنس والطمأنينة .

فهذه المعانى من لوازم الايمان بالملائكة، وما أخبر الله من أفعالها وأحوالها : فعندما يضل الركب عن الطريق ، وتسود الجاهلية الجهلاء، ويصبح المؤمن غريبا فى وطنه ، وبين اهله وقومه ، يجد منهم الصدود والاستهزاء ، والتخذيل والتثبط عن طاعة الله والاستقامة على أمره ، فى هذه الغربة يجد المؤمن أنيسا ورفيقا، يصحبه ويرافقه ويواسيه ويصبره ، ويطمئنه ويشجعه على مواصلة السير على درب الهدى فهذه جنود الله معه . تعبد الله كما يعبد وتتجه إلى خالق السماوات والأرض كما يتجه ، وتبارك خطواته ، وتشد من ازره ، وتذكرة بالخير عند ربه فهو إذا ليس وحده فى الطريق الى الله ، ولكنه يسير مع الركب العظيم ، ومع الأكثرية من مخلوقات الله عز وجل مع الملائكه الكرام ، ومع الأنبياء عليهم السلام ومع السموات والأرض فهو الأكثر رفيقا وهو الأقوى سندا . فتجعله هذه المشاعر الصادقه صابرا مطمئنا ، لا يزيده صدود الناس إلا ثباتا وجهادا .

فكم أنعم الله علينا بخلق الملائكة ، وكم أنعم علينا بالإيمان بهم تصديق لقرآن الله العظيم ولرسوله الصادق الأمين ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . [١]

---

١ - الإيمان (ص ٣٥ ـ ٣٦) .

المبحث الخامس

الجـن والشيـطــان

من العالم الغيبي الذى أخبرنا عنه المولى تبارك وتعالى الجن . وأنهم خلقو من نار كما قال تبارك وتعالى : (خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجن من مارج من نار) [١].

كما بين القرآن أن الجان مكلفون شأنهم شأن بنى آدم والعلة فى خلقهم هى عبادة الله وحده إذا يقول المولى تبارك وتعالى: (وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) [٢].

كما بين القران الكريم أن منهم المؤمنون ومنهم الكافرون والفاسقون إذ يقول المولى تبارك وتعالى: (وإنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا) [٣]

فمفاد الآية الكريمة واضح وتبين أن عالم الجن مكلفون كعالم الأنس وأنهم مجازون مثلهم . قال تعالى حاكيا قولهم : (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا * وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) [٤] .

<u>الفرق بين الجن والشيطان :</u>

اختلف علماء العقيدة فى الفرق بين الجن والشياطين ، فهناك رأى يقول : هما جنس واحد ، ويطلق الشيطان على المتمرد من الجن وهو الأرجح الذى تدل الأدلة عليه وهذا رأى جمهور العلماء وهناك رأى يقول: أن الحقيقتين متغايرتان، فالجن أجسام هوائية لطيفة تتشكل بالأشكال المختلفة وتظهر منها الأفعال العجيبة ، منهم المؤمن ، والكافر . أما الشياطين فهم أجسام نارية شأنها إضلال الناس وإلقاؤهم فى الغواية والهلاك[٥].

---

١ - الرحمن (١٤ ـ ١٥)
٢ - الذاريات (٥٦ ــ ٥٨)
٣ - الجن (١١) .
٤ - الجن (١٤ ـ ١٥)
٥ - تبسيط العقائد الإسلامية (ص ١٨٩) .

حقيقتهم :

واما خقيقتهم التى خلقو منها فالله أعلم بها ،لأنه لم يرد ما يدل عليها ولكن العلماء استنبطوا من الأدلة الصحيحة .

أن الجن أجسام نارية تتشكل بالأشكال القبيحة ، وأنهم يعقلون ، وياكلون ويشربون وينامون ويتزوجون ، ويتناسلون وأن منهم الطائع ومنهم العاصى ،غير أن الشيطان منهم لا يطلق إلا على العصاة المردة المؤذيين[١].

ويقول صاحب عقيدة المؤمن: أن الجن والشياطين تتم بينهم عملية التوالد بحسب طبيعة خلقهم وتكوينهم وأن لهم سنة فى ذلك تتم بحسبها وجود ذرية لهم ،كما تتولد سائر الأحياء ، كل على نظام السنة التى جعلها الله تعالى له . ويشهد لهذه الحقيقة ويقررها القرآن الكريم ، حيث جاء فيه قول الله تعالى: (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) [٢].

فإن النهى عن اتخاذه وذريته أولياء هو إبليس وذريته بدليل السياق. إذ أوله : (وإذ قلنا للملائكة اسجدو لأدم فسجدو إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه) [٣] ، كما ورد فى صحيح مسلم أن الشيطان يشارك الإنسان فى طعامه وشرابه وفراشه أن لم يذكر اسم الله تعالى عند أكله وشربه ومخالطة أهله ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لو أن أحدكم يقول حين يأتى أهله باسم الله اللهم جنبنى الشيطان ما رزقتنا ، ثم قدر بينهما فى ذلك أو قضى ولدا لم يضره الشيطان أبدا"[٤].

<u>أين يسكن الجان؟</u>

---

١ - تبسيط العقائد الإسلامية (ص ١٨٩).
٢ - الكهف (٥٠) .
٣ - الكهف (٥٠) .
٤ - عقيدة المؤمن (ص ١٧٨) .

الغالب فى الجن والشياطين أنهم يسكنون الخرائب ، والحشوش ، والمزابل ، والقمائم لحديث أبى داود : " أن هذه الحشوش محتضرة فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث".

ومن هنا كانت الشياطين تنزل على أخباث الرجال والنساء من أهل الأثام والأفاكين ، والملوثين بالذنوب والجرائم والعظام . قال تعالى من سورة الشعراء: (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم * يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) [١] .

صلة الجن بالانسان :

أن اتصال الجن بالأنس ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأئمة غير أنه اتصال من نوع خاص فهو ليس كاتصال الأنس بالأنس، لأن الجن عالم غيبى يرانا ولا نراه ، وليس اتصال المشاركة فى الألآم والآمال ، والمتاعب والمشاكل والسلم والحرب والأمن والخوف، كما هو الشأن بالنسبة للصلة بين الإنسان والإنسان، وإنما هو اتصال من نوع خاص يناسب طبيعة كل منهما وفى الحدود التى رسمتها سنن الله تعالى وقوانينه الكونية والشرعية . فالجن موجود فى كل مكان يكون فيه إنس . ويحضرون أكله وشرابه ومجاسه لا يفارقونه أبدا إلا أن يحجزهم بذكر اسم الله الله تعالى . والجن مسلطون على الأنس بالوسوسة والأغواء والاضلال، وإيانا بالتمثيل والتشبيه بأشياء تزيد من إضلالهم للإنس وتكفيرهم ، وأحيانا يلبسون جسم الإنسان ، ويعيشون فيه بكيفية لا يعلمها إلا الله تعالى ، فيصاب الإنسان عن طريقهم بمرض من الأمراض كالصرع والجنون والتشنج وغير ذلك بقدر الله . كما يصاب الإنسان بغير ذلك من الأمراض والمصائب بسبب الإنسان .وقد يسرق لصوصهم أموال الإنسان وقد يكسر المشاغبون منهم الأونى والأشياء الثمينة كما يظهر أحدهم للانسان فى صورة إنسان ليقتله أو يوقعه فى مهلكة كبئر أو نهر أو نار.

---

١ - الشعراء (٢٢١ ـ ٢٢٣)

والخلاصة انهم يتشكلون بالأشكال المختلفة التى عن طريقها يحاولون الأضرار بالإنسان أو نفعه. كما أن شياطينهم مسلطون بالوسوسة للإنسان بالأغواء والإضلال فهم مضرون ظاهرا وباطنا . غير أنه لا يضر منهم إلا الكافرون أو الفاسقون، أما الصالحون منهم فشأنهم شأن صالحى الإنسان لا يفعلون إلا الخير ، ولا يسعون إلا فيه.

كيف يتحصن المسلم من أذى الجن :

الله تبارك وتعالى أعطى الإنسان السر الذى يفسد على الجن وسوستهم ويحفظ نفسه من أضرارهم وآذاهم. فالإيمان الصادق عصمة لصاحبه من تسليط الشيطان عليه إلى النهاية. قال تعالى (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون *إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) [١].

ذكر الإمام أبو بكر الجزائرى سبعة أشياء للتحصن من أذى الشيطان وهى:

أولا : الاستعاذه بالله تعالى لقوله عز وجل : (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) [٢] .

ثانيا: قراءة المعوذتين: " قل أعوذ برب الفلق" ، و" قل أعوذ برب الناس " .

ثالثا: قراءة آية الكرسى (الله لا إله إلا هو الحى القيوم ....) [٣] .

رابعا: قراءة سورة البقرة بكاملها، لحديث مسلم : "لا تجعلو بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة" .

خامسا: ذكر لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

سادسا: الوضوء عند الغضب ، فمن غضب فليتوضأ فإنه يعصم نفسه من الشيطان أن يحمله على ارتكاب ما لا ينبغى، أو ما يحسن من قول أو فعل لحديث أبى داود : أن

---

١ - النحل (٩٩ ـ ١٠٠) .
٢ - فصلت (٣٦) .
٣ - البقرة (٢٥٥) .

الغضب من الشيطان وأن الشيطان من النار ، وإنما تطفا النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضا"[١] .

١ - عقيدة المؤمن (١٨٧ـ ١٨٨) .

الفصل التاسع

الإيمان بالرسل والأنبياء

إن من رحمة الله عز وجل بعباده إرسال الرسل ليبينو للناس طريق الهداية ويخرجونهم من الظلمات إلى النور ومن عبادة الأوثان والأصنام إلى عبادة الواحد القهار ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والأخرة فوظيفة الرسايل إبلاغ الناس عن مراد الله تبارك وتعالى من توحيده وعبادته ، وبيان الطريق المستقيم للناس الذى يربطهم بخالقهم سبحانه وتعالى ،وعلاقة الانسان بأخيه الإنسان وعلاقته بالمجتمع ، وبيان مصير الانسان وجزائه ،فى اليوم الاخر بالجنة أو النار ، مما لا يمكنه الوصول إليه عن طريق أخر غير طريق الوحى الالهى المنزل على نبى أو رسول اختاره الله سبحانه واصطفاه ليتلقى عن الله وحيه ويبلغه إلى الناس ويسير فيهم على هدى هذا الوحى منفذا له ومطيعا بدقة لكل ما فيه من تشريعات وأخلاق وآداب . وفى هذا الفصل سنعرف الرسول والنبى والفرق بينهما وحكم الايمان بالرسل عليهم السلام، ثم تبين ما يجب وما يجوز وما يستحيل فى حق الرسل عليهم السلام .

المبحث الاول

تعريف الرسول والنبى عند علماء العقيدة

الرسل جمع رسول والرسول فى اللغة هو من بعث برسالة، ويقال: ارسله بكذا إذا طلب تأديته وتبلغيه ، وفى لسان الشرع: إنسان ذكر حرا أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه. [١]

أما النبى : هو إنسان حر ذكر من بنى آدم أوحى الله إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه . ولذلك كل رسول نبى وليس كل نبى رسول.

فهذا التعريف يوضح لنا ما يلى :

١ -أن الرسول هو من أوحى الله إليه بتشريع وأمره بتبليغه للناس.

---

١ - شرح العقيدة الوسطية (ص ٨) .

٢ -أن النبى من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه. ولأن معنى النبوة تحققت فيه ولم تتحقق معنى الرسالة فكل رسول نبى ولا عكس فاذا انتفت النبوة من شخص انتفت الرساله عنه ولابد، لأنه لا يرسل إلا إذا أنباه الله وأخبره بأنه اختاره واصطفاه لوحيه أولا ، ثم يخبره بأنه ارسله إلى من أرسله إليهم بعد ذلك، فالنبوة هى طريق للرسالة، ولا رسالة بدون نبوة؛ لذلك كان إخبار الله تعالى فى القرآن بأن محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين دليلا على أنه لا نبى ولا رسول بعد محمد صلى الله عليه وسلم وهو تعبير موجز بليغ رائع قال تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبين وكان الله بكل شيء عليما) [١].

٣ -أن رسل الله عليهم السلام من الذكور فقط ، ولم يتأكد أن أحد منهم كان أنثى ، أو أن رسولا كان من الجن أو الملائكة وأرسل إلى الأنس ليعيش معهم . لذلك قال العلماء فى تعريف النبى: أنه " إنسان – ذكر – حر أوحى إليه بشرع فإن أمر بتبليغه فهو رسول أيضا وإن لم يؤمر بتبليغه فهو نبى فقط .هذا هو القول المشهور فى الفرق بين الرسول والنبى . وهناك رأى يقول :أن الرسول من بعثه الله بشريعة مجدده يدعو الناس اليها ، والنبى يشمله ويشمل من بعثه الله لتقرير شرع من قبله مثل أنبياء بنى اسرائيل الذين كانو بين موسى وعيسى عليهما السلام وقيل :الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه ، والنبى غير الرسول من لا كتاب له ، وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحى والنبى يقال له ولمن يوحى اليه فى المنام . [٢]

٤ -أن يكون النبى أو الرسول حرا فلم يثبت ان الله بعث نبيا من الأنبياء كان عبدا مملوكا لأحد من الناس .

---

١ - الأحزاب (٤٠) .
٢ - تبسيط العقائد (ص١١٥) .

٥ -يشترط أيضًا أن يكون النبى أو الرسول خاليا من العيوب التى تنفر الناس منه لأن وجودها يمنع الفائدة من رسالته، فما قيل عن أيوب عليه اللام من أنه مرض مرضا منفرا كذب وافتراء عليه .

بعد أن عرفنا الرسول والنبى ونبينا الفرق بينهم يجدر بنا القول أن نبين حكم الإيمان بالرسل والإنبياء عليهم السلام.

الإيمان بالإنبياء والرسل واجب جملة وتفصيلا لأنه أصل من أصول الدين من أنكر فقد كفر بدليل قوله تعالى: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) [1]، فيجب على كل مكلف بالغ عاقل أن يعتقد أن الله سبحانه وتعالى أرسل رسلا مبشرين لمن أطاع ومنذرين بعقابه لمن عصى وقاموا بتبليغ ما أمروا به على خير وجه ، وأن يعتقدو أن تصديقهم واجب مناصرتهم فريضة وأن الاقتداء بهم لازم ، واتباعهم طريق النجاة من غضب الله وعقابه وعذابه كما يجب أن يؤمن بأنهم مؤيدون من عند الله تبارك وتعالى بالمعجزات الدالة على صدقهم .

وينبغى الاعتقاد بأنهم صادقون مصدقون بارون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون وأن الكفر بواحد منهم كفر بجميعهم بل كفر بالايمان كله قال الله – عز وجل : (كذبت قوم وح المرسلين) وإنما أرسل إليهم نوح وحده ، فكان تكذيبهم نوحا (عليه السلام) تكذيبا لكل الرسل لأن دعوة الرسل واحدة وهى دعوة التوحيد .

وينبغى الاعتقاد بأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به ولم يكتمو منه حرفا واحدا ، ولم يغيروه ولم يزيدوا فيه من أنفسهم حرفا ، ولم ينقصوه فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ، قال تعالى

---

١ - البقرة (ص ٢٨٥) .

مخبرا عن خاتمهم صلى الله عليه وسلم : "ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين"[١] .

وينبغى الأعتقاد بان دعوة الرسل من أولهم إلى أخرهم هى دعوة التوحيد إلى الله عز وجل . قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) [٢]

أما فروع الفرائض من الحلال والحرام فقد تخلفت فيفرض على هؤلاء ما لا يفرض على هؤلاء ، ويخفف على هؤلاء ما شدد على أولئك ، ويحرم على أمه ما يحل للأخرين وبالعكس والمذكرون فى القرآن الكريم خمسة وعشرون فيجب الإيمان برسالتهم ونبوتهم تفصيلا بمعنى ان الإنسان لو عرض عليه واحد منهم ، لم ينكر نبوته ولا رسالته ، وإن كان رسولا فمن أنكر نبوة واحد منهم أو أنكر رسالة من بعث منهم برسالة كفر .

وأما الأنبياء والرسل الذين لم يقصهم القرآن علينا فقد أمرنا أن نؤمن به إجمالا وليس لنا أن نقول برسالة أحد من البشر أو نبوته ما دام القرآن لم يذكره فى عداد الأنبياء والرسل ولم يخبرنا بأنه رسول الله.

أولو العزم من الرسل : وأولو العزم من الرسل هم خمسة : محمد ، إبراهيم ، موسى ، نوح ، عيسى، عليهم أفضل الصلاة والسلام ذكرهم الله تبارك وتعالى فى قوله :(وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم)، وسموا بأولى العزم؛ لأنهم صبروا على أذى أقوامهم.

ويجب أن نؤمن ونعتقد أن الله عز وجل فضل بعضهم علي بعض لقوله عز من قائل: (تلك الرسل فضلنا بعضهم علي بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسي ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) [٣] .

---

١ - الحاقة (٤٤ــ ٤٧) .
٢ - الشورى (١٣).
٣ - البقرة (٢٥٣) .

ونؤمن بأن أفضلهم وأفضل الخلق علي الإطلاق نبينا محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد فسر بعض السلف قوله تعالى: (ورفع بعضهم درجات) بأنه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى أحاديث صحيحة منها. عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع"[١] .

ولقد ذكر صاحب العقيده الطحاوية عدة شروط للايمان برسالة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

١ -**أنه خاتم الأنبياء** : قال تعالى: (ولكن رسول الله وخاتم النبين) [٢]، وقال صلى الله عليه وسلم " مثلى ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بناؤه ، وترك منه موضع لبنيه ، فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه إلا موضع تلك اللبنة ، ولا يعيبون سواها فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة وختم بى البنيان وختم بى الرسل " [٣].

فنعتقد اعتقادا جازما أنه لا نبوة بعده صلى الله عليه وسلم وإن كل من ادعاها بعده صلى الله عليه وسلم فهو كذاب ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سيكون فى أمتى ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبى، وأنا خاتم النبيين لا نبى من بعدى " رواه لمسلم .

٢ -**إمام الأتقياء** : هو صلى الله عليه وسلم الإمام الذى يؤتم به ، يقتدون به ، والنبى صلى الله عليه وسلم إنما بعث للاقتداء به لقوله: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وكل من اقتدى به واتبعه فهو من الأتقياء.

٣ -**سيد المرسلين:** قال صلى الله عليه وسلم : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع " رواه مسلم. وروى مسلم والترمذى عن وائلة بن

---

١ - الإيمان محمد نعيم ياسين (ص ٤٢) .
٢ - الأحزاب (٤٠) .
٣ - رواه مسلم .

الأسقع رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم ".

فان قيل : يشكل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تفضلونى على موسى ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فأجد موسى باطشا بساق العرش فلا أدرى هل أفاق قلبى أو كان ممن استثنى الله فكيف يجمع بين هذا وبين قوله :" أنا سيد ولد آدم ولا فخر "[١] .

فالجواب: إن كان له سبب فإنه قد قال يهوي، لا والذي أصطفي موي علي البشر فلطمه مسلم، وقال: أتقول هذا ورسول الله صلي الله عليه وسلم بين أظهرنا؟ فجاء اليهودي فأشتكي من المسلم الذي لطمه ، فقال النبي صلي الله عليه وسلم هذا، لأن التفضيل إذا كان علي وجه الحمية والعصبية وهوي النفس كان مذموما. بل نفس الجهاد إذا قاتل الرجل حمية وعصبية كان مذموما، فإن الله حرم الفخر وقد قال تعالي : " ولقد فضلا بعض النبيين علي بعض" فعلم أن المذموم إنما هو التفضيل علي وجه الفخر.

٤ -أنه صلي الله عليه وسلم حبيب رب العالمين فقد ثبت له صلي الله عليه وسلم أعلي مراتب المحبة وهي الخلة كما صح عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال: " إن الله إتخذني خليلا كما إتخذ إبراهيم خليلا "، وقال صلي الله عليه وسلم: " لو كنت متخذا من البشر خليلا لأتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صاحبكم خليل الله" .

٥ -كل دعوي النبوة بعده صلي الله عليه وسلم فغي وهو لما ثبت أنه خاتم النبيين، علم أن من أدعي بعده النبوة فهو كاذب. ولا يقال: فلو جاء المدعي للنبوة بالمعجزات الخارقة والبراهين الصادقة كيف يقال بتكذيبه؟ لأنا نقول هذا لا يتصور أن يوجد ، وهو من باب فرض المحال؛ لأن الله تعالي لما أخبر أنه خاتم النبيين، فمن المحال أن يأتي مدعي

---

١ - رواه الترمذي

يدعي النبوة ولا يظهر أمارة كذبه في دعواه، والغي ضد الرشاد. والهوي عبارة عن شهوة النفس أي أن تلك الدعوي بسبب هوي النفس لا عن دليل فتكون باطلة.

٦ -المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى ، وبالحق والهدى وبالنور والضياء .

أما كونه مبعوثا إلى عامة الجن ، فقال تعالى حكاية عن قول الجن : "يا قومنا أجيبو داعى الله " ، وكذا سورة الجن تدل على أنه أرسل إليهم أيضًا ، وأما كونه مبعوثا إلى كافة الورى فقد قال : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) [١] .

قال تعالى : (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا) [٢]، وقال تعالى: (وقل للذين أوتو الكتاب والأمين ءأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ) [٣] .

فكونه صلى الله عليه وسلم مبعوثا إلى الناس كافة معلوم من دين الإسلام بالضرورة . وأما قول بعض النصارى أنه رسول إلى العرب خاصة فظاهرة البطلان، فإنهم لما صدقوا بالرسالة لزمهم تصديقه فى كل ما يخبر به .

وقد قال أنه صلى الله عليه وسلم إلى الناس عامة ، والرسول لا يكذب ، فلزم تصديقه حتما فقد أرسل رسله وبعث كتبه فى أقطار الأرض إلى كسرى وقيصر والنجاشى والمقوقس وسائر ملوك الأطراف يدعوهم إلى الإسلام [٤] .

---

١ - العقيدة الوسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٥٧ ــ ٥٨) .
٢ - سبأ (٢٨)
٣ - آل عمران (٢٠) .
٤ - العقيدة الطحاوية (ص ١٦٨) .

المبحث الثانى

الواجب والجائز والمستحيل فى حق الرسل عليهم السلام

فى هذا المبحث سوف سنتحدث عما يجب فى حق الرسل عليهم السلام من الامانه والصدق والفطنة والتبليغ ،وما يجوز فى حقهم من كل العادات البشرية من طعام وشراب وزواج ونوم ومشى فى الاسواق وما يستحيل فى حقهم من الترفع عن الدنايا والخطايا والاثام لذا فان هذا المبحث ينقسم الى مطلبين :

المطلب الأول : الواجب فى حق الرسل عليهم السلام .

المطلب الثانى : الجائز فى حق الرسل والمستحيل .

ونورد توضيح ذلك فيما يلى :

المطلب الاول

الواجب فى حق الرسل عليهم السلام

أولا : صفة الأمانة :

يجب فى حق الرسل عليهم السلام الأمانة وهى حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه ولو نهي كراهية . فهم محفوظون ظاهرا من الزنا وشرب الخمر والكذب وغي ذلك من منهيات الباطن ، والمراد المنهي عنه ولو صورة فيشمل ما قبل النبوة ولو فى حالة الصغر ولا يقع منهم مكروه ولا خلاف الاولى بل ولا مباحا واذا وقع صورة ذلك فهو للتشريع فيصير واجبا أو مندوبا فى حقهم فأفعالهم رضى الله عنهم دائرة بين الواجب والمندوب، والدليل على اتصافهم بالأمانة أنهم لو خانوا بفعل المعصية لكان اتباعهم مامورين من الله بفعل المعصية التى فعلها الرسول ،لأن اتباع الرسل مامورين من الله باتباع الرسل فى أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم من غير تفصيل والله لا يامر بالمعصية فالانبياء اذن معصومون من الله تعالى من الوقوع فى المعصية سواء أكانت هذه المعصية صغيره أم كبيرة.

وذلك ما يتفق مع جلال أعمالهم وشرف رسالتهم وصلاحيتهم للقدوة الواجبة على اتباعهم والطاعة المفروضة لهم على هؤلاء الاتباع .

قال تعالى :(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)

ثانيا : الصدق : خص الله سبحانه وتعالى رسله الكرام بمزايا من الفضائل والاخلاق تؤهلهم لتلتقى الوحى والاضطلاع باعباء الرسالة ليكونو قدوة للناس واسوة ،يقتدى بهم فى أمور الدين والدنيا ،فيجب علينا ،أن نؤمن بان رسل معصمون من آية نقيضه نقدح فى دينهم وطاعتهم لله جل وعلا ،حيث كملهم الله سبحانه فى الامانة والصدق والفطانة والتبليغ وغيرها من الاخلاق التى لابد منها للقيام بالحمل الذى حملهم الله اياه وبالمسؤلية التى اناطها بهم .وقد شهد الله تعالى لهم بالصدق ،فقال عز شأنه عن ابراهيم صلى الله عليه وسلم : (واذكر

فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا) وقال عز شانه عن اسماعيل عليه السلام : (إنه كان كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) إلى غير ذلك من الآيات الربانية التى شهدت لهم بالصدق والهدى .

ويقول صاحب تبسيط العقائد: "فاما وجوب صدقهم واستحالة كذبهم فيما يبلغون عن الله تعالى فدليله انهم لو كذبوا فى ذلك اللزم الكذب فى خبرة تعالى لان الله تعالى صدق رسله بتايد هم المعجزات ،فان المعجزه التى يظهرها الله تعالى على ايدى رسله بمنزل قول الله تعالى "صدق عبدى فيما يبلغ عنى . بدليل تأييدى له بالمعجزة التى لا يقدر عليها احد سواى فلو كان الرسل كاذبين لكان منصبا على المعجزة أيضًا (أى على ما يعتبر خيرا عن الله تعالى بتصديق رسله) لكن الكذب فى خبر الله تعالى محال فكذب الرسل فيما يبلغوا عن الله تعالى محال فثبت صدقهم فيما يبلغونه عنه تعالى واستحالة كذبهم فى ذلك.

قال تعالى: (وصدق الله ورسوله)، وقال تعالى فى شان افتراء الكفار على محمد صلى الله عليه وسلم وقولهم أن القرآن من عنده هو لا من عند الله : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) [١] .

وموجز المعنى أن الله يقول لو قال محمد على الله كلمه واحده لم يقلها الله تعالى "لقتله الله شر قتلة "وأما وجوب صدق الرسل واستحالة كذبهم فى غير ما يبلغون عن الله تعالى فالدليل عليه أن الرسل لو كذبوا لكان كذبهم خيانة ومعصية وذنبا ، وقد ثبت أنهم معصومون من الذنوب والخيانة واتضحت الأدلة على ذلك وقد ورد فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: " عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق [يتحرى الصدقِ] حتى يكتب عند الله صديقا، واياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار ، ومايزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا"

---

١ - الحاقة (٤٤ ، ٤٧)

ولهذا لما كانت خديجة رضى الله عنها تعلم من النبى صلى الله عليه وسلم أنه الصادق البار قال لها لما جاءة الوحى :"إنى قد خشيت على نفسى "فقالت : كلا – والله لا يخزيك أنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف، وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق " ، فان قيل قد مر النبى صلى الله عليه وسلم على جماعة يوبرون النخل وقال لهم لو تركتموها لصلحت فتركوها فشاصت أجيب بأن هذا من قبيل الإنشاء، لأن المعنى كان فى رجاء ذلك والإنشاء لا يتصف بصدق ولا كذب وعدم وقوع المترجى لا يعد نقصا".

ثالثا: الفطانة: وهى التفطين والتيقظ لالزام الخصوم وإبطال دعاويهم الباطلة فالفطانة هى حدة العقل وذكاؤه ، وقوة الفهم وعمقه ،وسرعة البديهه ، وحضور الذاكرة بحيث يتطيع الإنسان المتصف بها الزام خصمه وإقحام المعاندين والمكابرين له . كما يستطيع بسهولة الابانة والافصاح عما يريد إن يقول .

والدليل على وجوب إتصاف الرسل بها أن أرسلوا لبيان الشرائع والاحكام وإزالة الشبهات وترسيخ مبادئهم بالاقناع والحجة لمن أمن بهم كما أرسلو بإقامة الحجة والزام الخصم ، وابطال جميع حججه وادلته فلو لم يتصفوا بضدها من البلاد والعمى والغفلة فتضيع فائدة الرسالة قال تعالى : (الم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه) وقال تعالى : (وتلك حجتنا اتيناها إبراهيم على قومه)، وقال تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) المائدة (٦٧) .

رابعا : صفة التبليغ :

ومعناها : أن يوصل الرسول ما أمره الله بإيصاله إلى من أرسل إليهم فيجب للرسل التبليغ ويستحيل عليهم ضده وهو كتمان شيء مما أمروا بتبليغه والدليل على وجوب التبليغ أنهم لو كتموا شيئا مما أمروا بتبليغه للخلق لكنا مامورين بكتمان العلم ،لأن الله تعالى أمرنا بالاقتداء بهم ، وكوننا مأمورين بكتمان العلم باطل . فكتمانهم شيئا مما أمروا بتبليغه للخلق يكون

باطلا فثبت لهم التبيلغ ، واستحال عليهم الكتمان لشيء مما أمرو بتبليغه كما أن كتمانهم يضيع الفائدة من رسالتهم ، ولذا قال تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) المائدة .

الجائز فى حق الرسل عليهم السلام:

أن الله عز وجل اصطفى رسله من البشر فهم صفوة خلقه خصهم الله تبارك وتعالى بمزايا من الفضائل والاخلاق تؤهلهم لتلقى الوحى والاضطلاع باعباء الرساله ليكونوا قدوة للناس وأسوة يقتدى بهم فى امور الدين والدنيا.

ومع هذه المزايا والفضائل ، يجوز فى حقهم الأعراض البشرية التى لا تؤدى إلى نقص فى مراتبهم وكانتهم . فالرسل من البشر يجوز عليهم كل ما يجوز على البشر من الأمور الغريزية والعاطفية فى حدود مكانة رسالتهم وما يتفق مع منزلتهم كرسل من الله الى عباده.

فيجوز فى حقهم الأكل والشرب والاتصال الجنسى كما يجوز أن يرضوا يفرحوا ويغضبوا ويستجيبوا ويخافوا كما يجوز أن يمرضوا بالأمراض التى لا تعجزهم عن أداء رسالتهم ولا تنفر الناس منهم "، وما قيل عن أيوب عليه السلام: من أنه مرض مرضا نفر الناس منه يعتبر كذبا وافتراء عليه وهكذا يجوز فى حقهم جميع الأمراض البشرية فى حدود ما ذكر .

ويقول الدكتور محمد نعيم ياسين: "نؤمن أن الله سبحانه لم يخصهم بطبائع أخرى غير الطبائع البشرية ، وإنما اختارهم من الرجال الذين ياكلون ويشربون ويمشون فى الأسواق وينامون ويجلسون ويضحكون ، ولهم أزواج وذرية ، ويتعرضون للأذى وتمتد إليهم أيدى الظلمة وينالهم الاضطهاد ، وأنهم يموتون ، وقد يقتلون بغير حق ، وأنهم يتالمون ويصيبهم المرض وسائر الأعراض البشرية التى لا تؤدى إلى نقص مع مراتبهم العليه بين الخلق ".

قال تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين) [١]، وقال تعالى: (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق) [٢].

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ولكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء وكان صلى الله عليه وسلم يمرض ويتألم ويصيبه الحر والبرد والجوع والعطش والضجر والتعب وغير ذلك مما لا نقص عليه فيه .

فالرسل عليهم السلام فيهم جميع خواص البشر ولا يمتازون عنهم بشيء سوى أنهم رسل اختارهم الله لوحيه وهدايته من شاء من خلقه ، ففيهم جميع الأعراض التى تصيب البشر ولا تخل بالرسالة .

أما الأعراض التى تخل بمنصب الرسالة مثل: الإغماء الطويل والجذام والبرص والجنون والعمى والأمراض المنفرة كلها فهى ممتنعه عليهم .أما السهو والنسيان فلا يجوز عليهم الا فيما يتصل بامر الشرائع فقط كسهو الرسول صلى الله عليه وسلم فى الصلاة لتعليم الامة .

وأما النسيان من جانب الشيطان فمستحيل عليهم إذ ليس للشيطان عليهم سبيل [٣] .

ثانيا : المستحيل فى حق الرسل عليهم السلام :

إن الرسل عليهم السلام اتصفوا بصفات الأمانة والفطانة والتبليغ والصدق وثبت لهم هذه الصفات شرعا وعقلا . واستحال عليهم اضدها من الخيانة والغدر والكتمان ، والرذائل من البخل والجبن وللهو وللغو وسائر الاخلاق الذميمه . كما أنهم مبرءون من لؤم النسب وشره القلب وحرص النفس على الدنيا ، ولهذا لم يبعث نبيا من أشرف نسب أمته فلم يبعث نبيا

---

١ - آل عمران (١٤٤) .
٢ - الفرقان (٢٠) .
٣ - تبسيط العقائد (١٤٣) .

من ذى نسب مرذول ، كما لم يبعث نبيا عبدا ولا لئيما ولا امراة ،لعلو مرتبة الذكورة على الانوثه والحاصل اختصاص النبوة باشرف افراد النوع الانسانى من كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأي ،و السلامة من كل منفر عن الاتباع ،كدناءة الأباء وعهر الأمهات والغلظه والعيوب المنفرة للطباع ،كالبرص والجذام والأمور المخلة للمروءة ، كالأكل على قارعه الطريق والحرف الدنيئة كالحجامة ، وكل ما يخل بحكمة البعثة ونحو ذلك . وبالله التوفيق[١] .

أثر الإيمان بالرسل عليهم السلام:

للإيمان بالرسل عليهم السلام له أثر في نفس المؤمن منها:

أولآ:- العلم برحمة الله تبارك وتعالي وعنايته بعبادة حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلي صراط الله تعالي ويبينوا لهم كيف يعبدون الله ، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك
ثانياً:- شكره تعالي علي هذه النعمة الكبري .

ثالثآ:- محبة الرسل عليهم السلام وتعظيمهم والثناء عليهم لما يلي يليق بهم ، لأنهم رسل الله قاموا بعبادته وتبليغ رسالته والنصح لعبادة . [٢]

١ - لوامع الأنوار (٢٦٦/١) .
٢ - رسائل في العقيدة للعثيمين (ص ٢٧) .

الفصل العاشر

الإيمان بالكتب السماوية

الكتب جمع كتاب، والكتاب: مصدر كتب يكتب كتبا وكتابا وكتابة إذا جمع الحروف ، وألف بينها، فكانت كلمات ذات معان خاصة، ثم كون من تلك الكلمات ذات المعاني جملا مفيدة، وتسمي كلاما . فالكتاب إذا هو ماحوي كلاما. فالكتاب إذا هو ما حوي كلاما مفيدا ذا أغراض متعددة . وكتب الله تعالي التي يجب الإيمان بها : هي الصحف التي حوت كلام الله عز وجل الذي أوحاه إلي رسله علية السلام فكونت كتبا ، أو بقيت صحفا لم تجمع ، ولم يتكون منها كتاب خاص فالصحف كصحف إبراهيم وموسي علية السلام ، والكتب كالتوراه والزبور والإنجيل ، والقرآن العظيم .

أدلة الإيمان بالكتب السماوية :

إن الإيمان بالكتب السماوية ليس واجبا فحسب بل هو أحد أركان الإيمان الستة التي لا يصح إلا باستكمالها والإيمان بها كلها ، وإنه الركن الثالث من تلك الأركان ، التي هي بناء العقيدة الإسلامية ودل علي وجوب الإيمان بالكتب السماوية مايلي :

أولا : قوله تعالي :(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه وروسله لا نفرق بين أحد من رسله) [١] .

ثانيا : قوله تعالي :(يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل علي رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدآ). [٢]

---

١ - سورة البقرة (٢٨٥)
٢ - النساء (١٣٦)

ومن سنة رسول الله صلي الله علية وسلم حديث مسلم عن عمر بن الخطاب صلي الله علية وسلم والذي جاء فيه سؤال جبريل للرسول عن الإيمان وجواب الرسول صلي الله علية وسلم بأنه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدري خيره وشره " حلوه مره .

والمعلوم لنا من الكتب السماوية التي أنزلها الله تبارك وتعالي علي رسوله :

أولا : التوراة نزلت علي موسي علية السلام حيث قال سبحانه (إنا أنزلنا التوراة فيها هدي ونور يحكم بها النبيون الذين أسلمو للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب وكانوا عليه شهداء) [١].

ثانيا : الإنجيل نزل علي عيسي عليه السلام حيث قال تعالي : (ووقفينا علي آثارهم بعيسي ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدي ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدي وموعظة للمتقين) [٢].

ثالثا : الزبور نزل علي داود عليه السلام قال تعالي (وآتينا داود زبورا). [٣]

رابعا: الصحف التي أنزلها الله علي ابراهيم وموسي والتي لأخبر عنها الله تعالي بقوله (أم لم ينبأ بما في صحف موسي وإبراهيم الذي وفي ألا تزر وازرة وزر أخري وأن ليس للإنسان إلا ماسعي وأن سعيه سوف يري ثم يجزاه الجزاء الأوفي) [٤].

وأما الكتب الأخري التي نزلت علي سائر الرسل ، فلم يخبرنا الله تعالي عن أسمائها . وإنما أخبرنا سبحانه أن لكل نبي أرسله الله رسالة بلغها قومه فقال :(كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه).

فيجب علينا أن نؤمن بهذه الكتب التي لم تسم إجمالا ، ولا يجوز لنا أن تنسب كتابا إلي الله تعالي سوي مانسبه إلي نفسه مما أخبرنا عنه في القرآن الكريم .

---

١ - سورة المائدة (٤٤)
٢ - المائدة (٤٦)
٣ - الإسراء (٥٥)
٤ - النجم (٣٦– ٤٢) .

كما يجب أن نؤمن بأن هذه الكتب نزلت بالحق والنور والهدي وتوحيد الله سبحانه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، وأن مانسب إليها مما يخالف ذلك إنما هو من تحريف البشر

خامسا : القرآن الكريم: وهو آخر كتاب نزل من عند الله تعالي وأن الله عزوجل خصه بمزايا تميز بها عن جميع ما تقدمه من الكتب المنزلة من أهمها :

أولا : أنه تضمن خلاصة التعاليم الإلهية جاء مؤيدا ومصدقا لما ورد في الكتب السماوية والسابقة من توحيد الله وعبادته ووجوب طاعته . وجمع كل ماكان متفرقا في تلك الكتب من الحسنات والفضائل . وجاء مهيمنا ورقيبا ، يقر ما فيها من حق ويبين ما دخل عليها من تحريف وتغير ، وأنه جاء بشريعة عامة للبشر فيها كل ما يلزمهم لسعادتهم في الدارين . نسخ بها جميع الشرائع العلمية الخاصة بالأقوام السابقة وأثبت فيها الأحكام النهائية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان .

ثانيا : أن القرآن هو الكتاب الرباني الوحيد الذي تعهد الله بحفظه فقال عز من قائل : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) [١] . وقال تعالي: (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) [٢] .

وهذه مزية متفرعة من مزية أخري . وهي أن القرآن أنزله الله علي رسوله محمد صلي الله عليه وسلم لناس كافة ، وليس خاصا بقوم معينين ، كما كانت تنزل الكتب السابقة فكان حفظه من التحريف ، وصيانة من عبث الناس ، ليبقي ما فيه حجة الله علي الناس قائمة حتي يرث الله الأرض ومن عليها .

وأما الكتب الأخري ، فقد وجه الكلام في كل واحد منها إلي أمة خاصة دون سائر الأمم . وهي إن اتفقت في أصل الدين ، إلا أن ما نزل فيها من الشرئع والأحكام كان خاصا بأزمنة معينة وأقوام معينين ، قال تعالي :(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجآ).

---

١ - الحجر (٩)
٢ - فصلت (٤٢ ـ ٤٣) .

لذلك لم يتعهد الله سبحانه بحفظ أي منها علي مدي الأزمان كما هوالحال بالنسبة للقرآن . بل أخبر عزوجل في آخر كتبه عن التحريف الذي وقع علي تلك الكتب .

فمن التحريف والتغير الذي أدخله اليهود علي التوراة قال سبحانه : (أفتطمعون أن يؤمنو لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون).

وأما عن التحريف الذي أدخله النصاري علي الإنجيل قال تعالي :(ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين).

ومن التحريفات التي ادخلها اليهود والنصاري في دينهم ما زعمه اليهود من أن العزير ابن الله سبحانه ، وما زعمه النصاري أن المسيح ابن الله . قال تعالي (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصاري المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفرو من قبل قاتلهم الله أني يؤفكون).

فصحح لهم القرآن هذا الانحراف الذي صنعوه بأنفسهم فبين لهم أن الله سبحانه منزه عن أن يكون له ولد وقال تعالي :

(قل هوالله أحـــد الله الصمـــد لم يلد ولم يـــولد ولم يكـــن له كفوا أحـــــــد) .

وقرر أن الرسل جميعا بشر ، خصهم الله بالوحي وبما يؤهلهم لتلقيه وتبليغه للناس .

والحق الذي لا يماري فيه منصف أنه لا يوجد اليوم علي ظهر الأرض كتاب تصلح نسبته إلي الخالق تبارك وتعالي سوي القرآن الكريم ، يدل علي هذه الحقيقة أدلة حسية فضلا عما أخبر به القرآن عن التحريف الواضح في الكتب الموجوده ، من هذه الأدلة :

١ -إن الكتب التي نزلت قبل القرآن قد ضاعت نسخها الأصلية ولم يبق في أيدي الناس إلا تراجمها . أما القرآن فإنه لايزال محفوظا بسوره وآياته وكلماته وحركاته كما تلاه جبريل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صحابته رضوان الله عليهم .

٢ -أن هذه الكتب اختلط فيها كلام الله بكلام الناس من تفسير وتاريخ وسير الأنبياء وتلاميذهم ، واستنباطات الفقهاء ، فلا يعرف كلام الله من كلام البشر وأما القرآن فهو جميعه كلام الله تعالي ، ولم يختلط به غيره من حديث الرسول صلي الله عليه وسلم أو أقوال الصحابة أو غيرهم .

٣ -إن تلك الكتب ليس منها كتاب تصح نسبته إلي الرسول الذي ينسب إليه فليس لأحد منها سند تاريخي موثوق فالأسفار الموجوده ضمن مايسمي بالعهد القديم ، ويطلق عليه التوراة ، وإنما دونت بعد موسي عليه السلام بقرون عديدة ، يقول محمد فريد وجدي نقلا عن دائرة معارف لاروس ما خلاصته :" العلم العصري ولا سيما النقد الألماني أثبت بعده أبحاث مستفيضة من الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات أن التوراه لم يكتبها موسي عليه السلام ، وأنها عمل أحبار لم يذكروا أسمائهم ألفوها علي التعاقب ، معتمدين في تأليفها علي روايات سماعية ، سمعوها قبل أسر بابل ، بل ذهب بعض العلماء إلي أن هذه الأسفار الخمسة ليس فيها كل الروايات الإسرائلية ولكنها تحتوي علي إشارات ورموز وحكايات . وأما القرآن العظيم فهو الكتاب الوحيد الذي ثبتت نسبته بصورة قطعية إلي الرسول الذي أوحي إليه وهو محمد صلي الله علية وسلم فقد نقل هذا الكتاب بسوره وآياته ، وطريقة ترتيبها ، وكيفية تلاوته إلي كل عصر جاء بعد عصر نزوله ،بالتواتر، بحيث لا يشك في أن القرآن الذي نزله الله علي رسوله الكريم .

٤ -ومن أدلة علي وقوع التحريف في تلك الكتب تعدد نسخها واختلافها فيما نقلته من الأقوال والآراء.ويقول الأستاذ سيد سابق في العقائد الإسلامية ما نصه " ويكفي لصحة التدليل علي التحريف في الأناجيل المتداولة بأيدي النصاري الآن ، أنها أربعة اختيرت من نحو سبعين إنجيلا وهذه الأناجيل تناولت الكتابة عن سيرة سيدنا عيسي عليه السلام ، ومؤلفوها معروفون ، وأسماؤهم مكتوبة عليها ، وقد قرر نقاد المسيحيين انفسهم أن عقائد الاناجيل هي رأي بولس دون سائر الحواريين ، ودون أقرب الأقربين إلي

عيسي ، وقد وجد في مكتبة أمير من الأمراء في باريس نسخة من إنجيل برنابا ، وقد طبعته مطبعة المنار بعد ترجمته إلي العربية يخالف الأناجيل الأربعة مخالفة كبيرة .

ومن القرائن القاطعة علي وقوع التحريف في هذه الكتب ماتضمنته من العقائد الفاسدة والتصورات الباطلة عن الخالق بالأنسان ، والقدح بالأنبياء بما يمس شرفهم ويتنافي مع عصمتهم " ومن أمثلة ذلك ما جاء في سفر التكوين جـ٣/٢٢ما نصه فقيه " وقال الرب الاله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا بالخير والشر " وفيه ايضا :" فحزن الرب أنه عمل الإنسان وتأسف في قلبه " ومما جاء فيه أيضا مما يمس شرف الأنبياء ويتنافي مع عصمتهم ما قالوه عن ابراهيم عليه السلام أنه كذاب، وأن لوطا زني بابنتيه، وأن هارون دعا الإسرائيليين إلي عبادة العجل وأن داود زنا ،وأن سليمان عبد الأصنام إرضاء لزوجته ، فهل ثم دليل علي التحريف أقوي من هذا .

فمن خلال الدراسة لهذا النص يتبين لنا أن الكتب السماوية السابقة تحرفت وتضمنت عقائد فساد تتهم الأنبياء الذين هم صفوة المجتمع وصفوة خلقة أكرمهم الله بالرساله وأنعم عليهم بالعصمة فهم معصومون ظاهرا وباطنا .

وإزاء هذا التحريف والتغير الذي طرأ علي الكتب السابقة ، فإن الإيمان بها يكون بالتصديق أنها من عند الله في أساسها وأنزلها علي رسله ، لنفس الغرض الذي أنزل من أجله القرآن ، ولا نؤمن بشئ من محتوياتها أنه من عند الله إلا ما ذكره القرآن أو الرسول صلي الله عليه وسلم .

وأما الإيمان بالقرآن الكريم فيجب علينا أن نؤمن بأنه كلام الله الخالص ، وهو الحق ، وإن كل لفظ فيه محفوظ ، ويجب اتباع أمره واجتناب نهيه ، وتصديق خبره ورفض مايخالفه .

ويقول الإمام أبوبكر الجزائري في كتابه عقيدة المؤمن مبينا فضل القرآن الكريم في النقاط التالية :

١ ـ الهدي الموصل إلي كل خير ، والمرشد إلي كل كمال والهادي إلي سعادة الدارين قال تعالي : (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدي للمتقين) [١].

٢ ـ الرحمة بأتم معناها ، الرحمة التي تعم الإنسان والجان والحيوان ، والكبير والصغير والكافر والمؤمن ، والحي والميت . قال تعالي في إثباتها : (الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدي ورحمة للمحسنين) [٢] .

٣ ـ الشفاء التام العام لجميع الأمراض العقلية ، والنفسية والقلبية شفاء من الكفر والشرك ، والقلق والاضطراب والحيرة والخوف ، والكبر والحسد ، والكسل والعجز والبخل والشح والظلم . قال تعالي (وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين) [٣].

٤ ـ النور الكاشف لجميع الظلمات القلبية ، والمبدد لسائر الجهات النفسية ، والمبين لسائر الحقائق والأسرار الكونية . قال تعالي في تعزيز نورانيته (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا) [٤].

٥ ـ الموعظة الداعية إلي اكتساب كل فضيلة ، والزاجرة عن كل الرذيلة قال تعالي في ذلك :" يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور "[٥].

٦ ـ البشري بخير الدنيا والأخرة وسعادتهما . قال تعالي في ذلك : " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدي ورحمة وبشري للمسلمين "[٦].

٧ ـ الذكر الإلهي الذي تحيا علية القلوب ، وتطيب بتلاوته الأرواح وتزكو بالعمل به النفوس

٨ ـ الخير العام لكل إنسان ، وجان ، وحيوان ، فما من كائن في هذه الحياة إلا وناله من خيرية القرآن من يوم نزوله إلي يوم رفعه إلي الله ، وفيضه إليه اللهم إلا من المطرودين

---

١ - البقرة (١ـ٣)
٢ - لقمان (١ـ٣)
٣ - الإسراء (٨٢)
٤ - النساء (١٧٤)
٥ - يونس (٥٧) .
٦ - النحل (٨٩)

من شياطين الإنس والجان المبلسين من كل خير .قال تعالي :" وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالو خيراً".[١]

٩ -التباين والبيان لكل شئ مما للإنسان في حاجة إليه تتوقف عليه سعادته دنياه وأخراه قال تعالي :" ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدي ورحمة وبشري للمسلمين ".[٢]

١٠ – الروح التي تتوقف عليه حياة الإنسان ، فالقرآن هو الروح اللازمة للحياة الفاضلة الكريمة ، إن الناس بدون أن تسري فيهم الروح القرآنية أموات حقا، لا ينتفعون بوجودهم ، ولا بحياتهم المادية ، قال الله تعالي :"وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورأ نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلي صراط مستقيم "[٣] .

أثر الإيمان بالكتب السماوية :

تتمثل ثمرات الإيمان بالكتب السماوية فيما يلي :

أولا : العلم بعناية الله تعالي – بعباده حيث أنزل لكل قوم كتابا يهديهم به.

ثانيا : العلم بحكمة الله تعالي في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم كما قال الله تعالي " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا "

ثالثا : شكر نعمة الله في ذلك .

---

١ - النحل (٣٠)
٢ - النحل (٨٩)
٣ - الشورى (٥٢) .

الفصل الحادي عشر

المعـــجـــزة

في هذا الفصل نوضح مفهوم المعجزة لغة واصطلاحا ونفرق بين المعجزة وبين غيرها من خوارق العادات ثم نقوم بدراسة نماذج من بعض معجزات الرسل ومعجزة القرآن الكريم . لذا أري أن هذا الفصل يقسم إلي المباحث التالية :

المبحث الأول : تعريف المعجزة لغة واصطلاحا ، الفرق بين المعجزة وبين غيرها من خوارق العادات .

المبحث الثاني : نماذج من معجزات الرسل .

المبحث الثالث : معجزة الرسول صلي الله عليه وسلم .

المبحث الرابع : خصو صيات الرسالة الخاتمة .

ونورد توضيح ذلك فيما يلي:

المبحث الأول

تعريف المعجزة

الإعجاز لغة : إثبات العجز ، والعجز في التعارف : اسم للقصور عن فعل الشئ ، وهو ضد القدرة ، وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز ، والمراد بالإعجاز هنا : إظهار صدق النبي صلي الله عليه وسلم في دعوي الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة – وهي القرآن – وعجز الأجيال بعدهم .

أم عن تعريف المعجزة اصطلاحا: فقد ورد عدة تعريفات للمعجزة فيقول فضيلة الشيخ المرحوم محمد متولي الشعراوي المعجزة هي خرق لنواميس الكون أو لقوانين الكون يعطيها الله سبحانه وتعالي لرسله ليدل علي منهجه وينبئهم به . ويؤكد للناس أنهم رسله تؤيدهم السماء وتنصرهم . والسماء حين تؤيد وتنصر تقف قوانين البشر عاجزة لا تستطيع أن تفعل شيئا.

ورد تعريف آخر للمعجزة بأنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة .

وقيل إن المعجزة هي أمر يظهره الله بخلاف العادة علي يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين علي وجه يعجزهم الإثبات بمثله .

فهذا التعريفات توضح لنا مايلي :

١ -أن المعجزة لابد وأن تكون من عند المولي عزوجل دون غيره لأنها تصديق منه لرسوله فلا يصدقه بفعل غيره ، سواء كان هذا الأمر " المعجزة " الذي يظهره الله قولا مثل القرآن أم فعلا كفلق البحر لسيدنا موسي ، أم تركا كعدم إخراق النار لسيدنا ابراهيم عليه السلام .

٢ - أن تكون خارقة للعادة لأنها لو لم تكن كذلك لأمكن للكاذب إدعاء الرسالة . وخرج بهذا السحر والشعوذة والمخترعات الغريبة

٣ - أن تظهر علي يد من يدعي النبوة ليعلم أنه تصديق له فخرج بهذا الكرامة والمعونة والاستدراج .

٤ - أن تكون مقرونة بدعوي النبوة ومصاحبة لها حقيقة أو حكما كما إذا تأخرت بزمن يسير وخرج بهذا الإرهاص .

٥ - أن تكون المعجزة موافقة للمطلوب ، فإن جاءت مخالفة للمطلوب سميت إهانة كما حصل لمسيلمة الكذاب فإنه تفل في عين لتبرأ فعميت السليمة

٦ - ألا تكون مكذبة للمدعي . فلو قال إنسان : معجزتي نطق هذا الجماد فنطق الجماد مكذبا له فإن تكذيبه يعتبر دليلا علي كذب المدعي .

- **<u>الفرق بين المعجزة وبين غيرها من خوارق العادات:</u>**

أ -**المعجزة** : أمر خارق للعادة يظهر علي يد مدعي النبوة

ب -**الكرامة** : أمر خارق للعادة يظهر علي يد عبد صالح غير مدع النبوة

ج- **الإهانة:** أمر خارق للعبادة يظهر علي يد كاذب مدع النبوة خلاف مطلوبه كما حصل لمسيلمة الكذاب.

د- **الاستدراج:** أمر خارق للعادة يظهر علي يد فاسق مدع الألوهية كما يظهر علي يد المسيخ الدجال.

و- **الإرهاص:** أمر خارق للعادة يظهر علي يد نبي قبل بعثه كتظليل الغام لنبينا محمد صلي الله عليه وسلم.

إمكان المعجزة: المعجزة أمر ممكن عقلا، وواقع فعلا إذ قد ثبتت معجزة القرآن الكريم بالتواتر. وقص علينا القرآن كثير من معجزات الأنبياء السابقين التي تحدوا بها قومهم ، وأثبتوا بها رسالتهم ولو لم تكن المعجزة ممكنة لما وقعت . وأما مخالفة المعجزه للسنن العادية في إيجاد الممكنات فإن ذلك أمر لا يمتنع علي الله ، لأنه تعالي قادر علي كل شئ وقد يكون للخوارق عند الله سنن خاصة لا نعرفها ولكن يظهر أثرها علي يد مدعي النبوة.

دلالة المعجزة : ذهب جمهور العلماء إلي أن دلالة المعجزة علي صدق الرسول في دعواه يقينية ، فالمعجزة تثبت إثباتا لاشك فيه أن الذي جرت علي يديه هو رسول من عند الله . وهذه الدلالة اليقينية تلزم من عاصر الرسول ومن غاب عنة وجاء بعده لأن الذين يشاهدون المعجزة يكونون عددا كثيرا ، فإذا نقل العدد الكثير أمر المعجزة إلي الغائبين كان ذلك حجة عليهم توجب تصديقهم بها وذلك هو الحاصل في حياة الناس والمركوز في نظرهم ، فإن أكثرهم يؤمنون بكثير من المدن والقري ومن الشخصيات التاريخية والأحداث العظيمة وليس من سبب في إيمانهم بها إلا الأخبار المتواترة.

المبحث الثاني

نماذج من معجزات الرسل "عليهم السلام"

إن الله تبارك وتعالي أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، وأيدهم بمعجزات من جنس ما نبغ فيه القوم . فالمعجزات يجب أن تكون خرقا لقوانين البشر ولا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالي الذي وضع هذه القوانين . كما يجب أيضا في المعجزة أن تكون مما بنغ فيه القوم حتي يكون التحدي ثابتا وقويا ... وإثباتا علي قدرة الله سبحانه وتعالي فإن أتي بقوم نيغو في الطلب مثلا وأرسل لهم معجزة في الطلب .

هنا الإحساس بالمعجزة لايكون فيه التحدي القوي للإنسان فالتحدي يجب أن يكون في أمر نبغ القوم فيه حتي لا يتحدي الله قوما بأمر لا يعرفونه . ولا موهبه لهم فيه . وحتي يكون للتحدي قيمة ومن هنا كانت معجزة كل رسول فيما نبغ فيه قومه .

فمعجزة إبراهيم عليه السلام جاءت تحديا في قوم يعبدون الأصنام ويسجدون لها ويقدسونها ولذلك عندما أرادوا إحراق إبراهيم كانوا يريدون أن ينتقمو لآلهتهم وهي الأصنام . وكان الانتقام معدا بالشكل الذي يمجد هذه الأصنام ويجعل إبراهيم عبرة لكل إنسان تسول له نفسه أن يهينها أو يكفر بها .

وجاءوا بإبراهيم وأمام آلهتهم في حمايتها أوقدوا نارا هائلة ليحرقوه والحرق هنا أمام الآلهة وعلي مشهد منها ليكون الانتقام من إبراهيم عليه السلام انتقاما تباركه الآلهه وتجعله رهيبا وجاءوا بالحطب ووقفو أمام آلهتهم مصدر قوتهم ، فإبراهيم عليه السلام لم يهرب بل وقع في أيديهم والنار لم تخمد بل ازدادت اشتعالا ثم ألقو بإبراهيم في النار فإذا بالله تبارك وتعالي يبطل خاصية الإحراق في النار وتكون بردا وسلاما علي إبراهيم .

إذا فمعجزة إبراهيم ليست أن ينجو من النار ولو أراد الله أن ينجيه من النار ما أمكنهم من القبض عليه . أو لنزلت الأمطار لتطفئ النار . ولكن الله شاء أن تظل النار متأججه محرقة قوية وأن يؤخذ إبراهيم عيانا أمام الناس ويرمي في النار . ثم يعطل الله ناموس أو قانون إحراقها : " قلنا يا نار كوني بردا وسلاما علي إبراهيم ".

موسي عليه السلام حينما بعثه الله عزوجل كان قومه قد نبغوا في السحر وبلغوا فيه مبلغا عظيما ، ولهم فيه من المهارة التامة ويعلمون من شأنه ما هو ممكن للبشر معرفته وصنعه منه وماليس ممكنا لهم . فلما سحر السحرة منهم الحبال والعصي بأمر فرعون ، وصارت تري حيات تسعي ألقي موسي عليه السلام عصاه بأمر الله تعالي فقلبها ثعبانا عظيما فابتلعت تلك الحيات الكثيرة ، فلما أخذها بيده عادت عصا كما كانت فخر السحرة لله ساجدين .

وآمنوا برسالة موسي ، وصبروا علي تعذيب فرعون لهم ، وما ذلك إلا لأنهم بسبب معرفتهم فن السحر وعلمهم بمقدار مايدخل منه في طوق البشر وما لا يدخل أيقنو أن تلك الخارقة : وهي انقلاب العصي ثعبانا ابتلع حبالهم وعصيهم المسحورة علي صورة الحيات ، ثم عودتها كما كانت مع تلاشي حبال السحرة وعصيهم دليل علي أن ما حصل علي يد موسي ليس سحرا ، وإنما هو آية معجزة من عند الله تعالي .

ويقول المرحوم فضيلة الشيخ الشعراوي " كان أول من آمن هم أولئك الذين نبغوا في المعجزة وهم أولئك الذين أراد الله سبحانه وتعالي أن يتحداهم فيما نبغو فيه ، فلما رأوا عظمة التحدي خروا ساجدين ، لأن لديهم جزءا من العلم الأرضي في السحر " إنما يخشي الله من عباده العلماء ".

فلما رأوا المعجزة أحسو بروعتها . وأحسو بجلالها أحسوا بأنها من عند الله سبحانه وتعالي فنسو فرعون ووعوده ونسوا الذهب والفضة وجاه الدنيا الذي ينتظرهم . بل نسوا أن فرعون سيسومهم سوء العذاب .

وأنه جبار في الأرض تلاشو كل هذا عندما رأوا المعجزة وخروا ساجدين لله ...، وكأن الذين أراد فرعون أن يتحدي بهم معجزة الله ودين الله فإذا بهم أول من يسجد لهذا الدين تلك روعة المعجزة تستطيع أن تتبينها إذا عرفت أن السحرة كانوا موعودين بالجاه والسلطان والمال . وكانوا هم أعوان فرعون الذين يرجون له وكان في أيدهم حكم الدنيا إذا غلبوا أو إذا اتهموا موسي بأي اتهام باطل يروج له فرعون وجنوده ولكنهم بهتوا وذهلو اما معجزة فخروا ساجدين تركوا كل هذا مصافا إليه عذاب فرعون عندما رأوا آية من آيات الله .

ثالثا : حينما بعث الله سبحانه وتعالي عيسي عليه السلام كان فن الطلب شائعا في بني إسرائيل ، فجاء عيسي عليه السلام بمعجزة من جنس مانبغ فيه القوم . فأبرأ الله علي يديه الأبرص والأكمه (الذي ولد أعمي) وأحيا الموتي ، فأهل المعرفة في علم الطب لا يحتاجون في تصديق رسالته إلي أمر صعب ، بل من الواضح لديهم أن يقولوا : إننا نعلم فن الطب ومقدار مايمكن الإنسان أن يبلغه فيه من الأعمال ومالا يمكنه . فيدخل في طاقة الأطباء الحذاق أن يشفوا الأبرص ولكن ذلك يحدث بمعالجة مخصوصةعلي مزور زمان مخصوص ، واما شفاؤه في الحال بمجرد لمسة أو الدعاء له فهذا ليس في طوقهم . ويمكنهم أن يشفوا مرضي العمي الذي يكون عرضيا ليس مخلا بجوهر البصر ، وأما شفاء الأكمه عديم البصر فهذا ليس في طوقهم ، وكذلك إحياء الموتي ، وحيث إن عيسي قد أتي بهذه الخوارق التي لا يستطيعها حذاق الأطباء . فإن ذلك دليل علي صدق دعواه الرسالة .

المبحث الثالث

معجزة الرسول صلي الله عليه وسلم

نتناول في هذا المبحث معجزات الرسول صلي الله علية وسلم الحسية ، ثم نشرح المعجزة الكبري الخالدة والباقية إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها وهي معجزة القرآن الكريم .

لذا أري أن هذا المبحث ينقسم إلي مطلبين :

المطلب الأول : المعجزة المادية للرسول صلي الله عليه وسلم .

المطلب الثاني : المعجزة الكبري وهي معجزة القرآن الكريم .

وإليك توضيح ذلك .

المطلب الأول

المعجزات المادية للرسول صلي الله علية وسلم

معجزاته صلي الله عليه وسلم التي أيده الله بها كثيرة منها ما هو متواتر كالقرآن الكريم ، فمن ما ليس متواتر كتسبيح الحصي في كفه ، ونبع الماء من بين أصابعه صلي الله عليه وسلم ، فمن أنكر المتواتر من المعجزات كان كافرا ، ومن أنكر الصحيح المشهور منها كنبع الماء من بين أصابعه كان فاسقا به وتنقسم معجزاته صلي الله عليه وسلم إلي قسمين معنوية وهي القرآن الكريم وحسية مثل نبع الماء من بين اصابعه وتكثر الطعام بدعائه . وفي هذا المطلب نوضح المعجزات الحسية فنذكر منها مايلي :

١ - انشقاق القمر وقد تحدث عنها القرآن الكريم في مطلع سورة القمر في قوله تعالي (اقتربت الساعة وانشق القمر).

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال بينما نحن عند الرسول الله صلي الله عليه وسلم إذا انشق القمر فلقتين فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلي الله عليه وسلم اشهدو وقال كفار قريش هذا سحر فابعثو إلي أهل الآفاق حتي ننظر أرأوا مثل هذا أم لا ؟ فأخبر أهل الأفاق بأنهم رأوه منشقا فقال كفار قريش " هذا سحر مستمر " فقد انشق نصفين وهو في السماء "

٢ - تسليم الحجر والشجر عليه صلي الله عليه وسلم : فعن علي رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلي الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله حجر ولا شجر إلا وهو يقول السلام عليك يارسول الله .

٣ - حنين الجذع وحديثه مشهور متواتر: وهو أنه كان صلي الله عليه وسلم قبل أن يصنع له المنبر يخطب عنده فلما صنع له المنبر انتقل إليه فسمع له من كان في المسجد حنينا

وصوتا عظيما حتي كاد ينشق أسفا علي فراقه صلي الله عليه وسلم فضمه إليه فصار يئن أنين الصبي الذي تضمه أمه إليها وتسكته عن بكائه ثم قال إن شئت أردك إلي الحائط أي البستان الذي كنت فيه تنبت عروقك ويمكل خلقك ويتجدد لك خوص وثمر وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم اصغي إليه ليسمع مايقول فقال بصوت يسمعه من يليه بل تغرسني في الجنة فيأكل اولياء الله وأكون في مكان لا بلاء فيه فقال قد فعلت ثم اختار داء البقاء علي دار الفناء وأمربه . فدفن تحت المنبر وكان الحسن إذا بهذا الحديث بكي وقال يا عباد الله الخشبة تحن إلي رسول الله فأنتم أحق أن تشتاقو إلي لقائه .

٤ - رد عين قتادة حين سالت علي خده وذلك أنه كان يتقي بوجهه السهام عن الرسول الله صلي الله عليه وسلم في غزوة أحد فأصحاب عينه سهم فسالت علي خده فأخذها بيده وسعي بها إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم فلما رآها في كفه دمعت عيناه وقال إن شئت صبرت ولك الجنة وإن رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيئا فقال يارسول الله إن الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكني رجل مبتلي بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور فلا يردني ولكن تردها وتسأل الله لي الجنة فردها في موضعها وقال اللهم ق قتادة كما وقي وجه نبيك فأجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا وكان كذلك فكانت لا ترمد إذا رمدت الأخري .

٥ - نبع الماء من بين اصابعه صلي الله عليه وسلم : فعن جابر رضي الله عنه قال : عطش الناس يوم الحديبية فأتوا رسول الله صلي الله عليه وسلم وبين يديه ركوة وقالوا ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتك ، فوضع رسول الله صلي الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كأمثال العيون فتوضأنا وشربنا : وقيل لجابر كم كنتم يومئذ ؟ قال : لو كان مائة ألف لكفانا كنا خمسمائة .

٦ - تكثر الطعام ببركة دعائه صلي الله عليه وسلم : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع النبي صلي الله عليه وسلم في مسير ، فنفدت أزواد القوم حتي هموا بنحر حمائلهم فقال

عمر رضي الله عنه يارسول الله : لوجمعت مابقي من أزواد القوم فدعوت الله عليها ففعل ، فجاء ذو البر ببره وذو التمر بتمره ، وذو النواة بنواته قيل . ما كانو يصنعون بالنوي ؟ قال : كانوا يمصونه ويشربون عليه الماء .فدعا عليها حتي ملأ القوم مزاودهم ، فقال عند ذلك : أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقي الله بها عبد غيرك شاك فيها إلا دخل الجنة .

المطلب الثاني

معجزة القرآن الكريم

في هذا المطلب نتحدث عن معجزة القرآن الكريم وهي المعجزة الخالدة والباقية إلي أن يرث الله ومن عليها . ونبين وجوه الإعجاز فالقرآن الكريم هو المعجزة الأساسية التي اعتمد عليها النبي صلي الله عليه وسلم في إثبات رسالته وإعجاز قومه ، وهو معجزة عقلية معنوية باقية إلي يوم القيامة .

والقرآن : هو اللفظ العربي المنزل علي سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته المتحدي بأقصر سوره منه .

فرسول الله صلي الله عليه وسلم بعث إلي قوم عرفوا بالفصاحة والبلاغة فجاءت معجزة القرآن الكريم من جنس ما نبع فيه القوم ، فتحدي به النبي صلي الله عليه وسلم العرب ، وقد عجزوا عن معارضته مع طول باعهم في الفصاحة والبلاغة، وقد ثبت أن الرسول صلي الله عليه وسلم تحدي العرب بالقرآن علي مراحل ثلاثة :

أ -تحداهم بالقرآن كله في أسلوب عام يتناولهم ويتناول غيرهم من الإنس والجن تحديا يظهر علي طاقتهم مجتمعين ،يقول تعلي "قل لئن اجتمعت الإنس والجن علي أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرآ"

ب -تحداهم بعشرة سور منه قال تعالي :"أم يقولون افتراه قل فأتو بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ".

ج- وتحداهم بسورة واحدة منه في قوله تعالي :" وإن كنتم في ريب مما نزلنا علي عبدنا فأتو بسورة من مثله ".

وجوه الإعجاز في القرآن الكريم:

اختلفت آراء العلماء في وجوه إعجاز القرآن الكريم علي النحو التالي :

١- ذهب أبو اسحاق إبراهيم النظام كالمرتضي من الشيعة إلي أن إعجاز القرآن كان بالصرفة أن الله صرف العرب عن معاضة القرآن مع قدرتهم عليها ، فكان هذا الصرف خارقا للعادة ،ومعناها في نظر المرتضي : أن الله سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة ليجيئو بمثل القرآن ، وهو قول يدل علي عجز ذويه ، فلا يقال فيمن سلب القدرة علي شئ إن الشئ أعجزه مادام في مقدوره أن يأتي به في وقت ما ، وإنما المعجز حينئذ هو قدر الله ، فلا يكون القرآن مجزا ، وحديثنا . عن إعجازا مضاف إلي القرآن يظل ثابتا في كل عصر لا عن إعجاز الله .

قال القاضي أبو بكر الباقلاني " ومما يبطل القول بالصرافة ، أنه لوكانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة ، لم يكن الكلام معجزا وإنما يكون المنع معجزا ، فلا يتضمن الكلام فضلا علي غيره في نفسه . والقول بالصرفة قول فاسد يرد عليه القرآن الكريم في قوله تعالي :" قل لئن اجتمعت الإنس والجن علي أن يأتو بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ".

فإنه يدل علي عجزهم مع بقاء قدرتهم ، ولو سلبو القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم ، لمنزلة أجتماع الموتي ليس عجز الموتي بكبير يحتفل بذكر.

٢- ذهب بعض العلماء إلي أن وجه إعجاز القرآن في حسن تأليفه وتناسق كلماته ، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب .

فإن العرب الذين كان الكلام طوع أمرهم ، والبلاغة ملك قيادهم ، قد حووا فنونها ، واستنبطو عيونها ، ودخلوا كل باب من أبوابها و علوا بلوغ أسبابها ، وبلغوا من الفصاحة قمتها ،

وأوتوا من دراية اللسان مالم يؤت إنسان ، وقالو في الخطير والمهين ، وتفننوا في الغث والسمين وتساجلوا في النظم والنثر .

ماراعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز ،لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته ، وبهرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته علي كل مقول ، وتضافر إيجازه وإعجازه ، وتظاهرت حقيقه ومجازه وتبارت في الحسن مطالعة ومقاطعة ، وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل مع إيجازه حسن نظمه .

لم يتمالك الوليد بن المغيرة عندما سمع سورة فصلت إلا أن قال : والله إن اه لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ، وما هو بقول بشر .

وسمع أعرابي رجلا يقرأ" فاصدع بما تؤمر " فسجد وقال سجدت لفصاحته . وسمع آخر رجلا يقرأ :" فلما استينسو منه خلصو نجيا "

فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر علي مثل هذا وحكي الأصمعي أنه سمع كلام جارية فقال لها ، قاتلك الله ! ما أفصحك ؟ فقالت أو بعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالي :" وأوحينا إلي أم موسي أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ةلا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ".

فجمع في آ ية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين ؟؟

٣- وذهب البعض إلي أن وجه إعجازه في تضمنه البديع الغريب المخالف لما عهد في كلام العرب من الفواصل والمقاطع .

٤- يقول آخرون بل إعجازه في الإخبار عن المغيبات المستقبلية التي لا بطلع عليها إلا بالوحي . أو الإخبار عن الأمور التي تقدمت منذ بدء الخلق بما لا يمكن صدوره من أمي لم يتصل بأهل الكتاب .

وأمثله ذلك كثيرة في القرآن الكريم .

أ -قال تعالي في أهل بدر " سيهزم الجمع ويولون الدبر ".

ب -"لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ".

ت -" الم غلبت الروم في أدني الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ".

ث -" سنسمه علي الخرطوم "

ج -" تبت يدا أبي لهب وتب ما أغني عنه ماله وما كسب * سيصلي نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد".

ح -ذهب جماعة إلي القرآن معجز لما تضمنه من العلوم المختلفة ، والحكم البليغة .

والحقيقة أن القرآن معجز بكل ما يتحمله هذا اللفظ من معني فهو معجز في ألفاظه وأسلوبه والحرف الواحد منه في موضعه من الإعجاز الذي لا يغني عنه غيرة في تماسك الكلمة ، والكلمة في موضعها من الإعجاز في تماسك الجملة ، والجملة في موضعها من الإعجاز في تماسك الآية .

وهو معجز في بيانه ونظمه ، يجد فيه القارئ صورة حية للحياة والكون والإنسان وهو معجز في معاينه التي كشفت الستار عن الحقيقة الإنسانية ورسالتها في الوجود ، وهو معجز بعلومه ومعارفه التي أثبت العلم الحديث كثيرا من حقائقها المغيبة ، وهو معجز في تشريعه وصيانته لحقوق الإنسان وتكوين مجتمع مثالي تسعد الدنيا علي يديه .

والقرآن أولا وآخرا هو الذي صير العرب رعاة الشاة والغنم ساسة شعوب وقادة أمم .

قال الخطابي في كتابه إعجاز القرآن " فخرج من هذا أن القرآن إنما صار معجزا ، لأنه جاء بأفصح الألفاظ ، في أحسن نظوم التأليف ، مضمنا أصح المعاني من توحيد الله وتنزيهه في

صفاته ، ودعا إلي طاعته ، وبيان لمنهاج عبادته ، في تحليل وتحريم وحظر وإباحة ومن وعظ وتقويم ، وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، وإرشاد إلي محاسن الأخلاق ، وزجر عن مساوئها واضعا كل شئ منها موضعه الذي لايري شيئا أولي منه ، ولا يتوهم في صورة العقل أمر أليق منه مودعا أخبار القرون الماضية . وما نزل من عذاب الله بمن عصي وعائد منهم ، منبئا عن الكوائن المستقبلة في الإعصار الماضية من الزمان – جامعا في ذلك بين الحجة والمحتج له ، والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إلية ، وإيتاء عن وجوب ما أمر به ونهي عنه .

ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور ، والجمع بين أشتاتها حتي تنتظم وتتسق ، أمر تعجز عنه قوي البشر ، ولا تبلغه قدرتهم ، فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معاضته بمثله .

القدر المعجز من القرآن :

تنوعت آراء العلماء في القدر المعجز من القرآن الكريم علي النحو التالي :

١ -ذهب المعتزلة إلي أن الإعجاز يتعلق بجميع القرآن لا ببعضه ،أو بكل سورة برأسها .

٢ - ذهب البعض إلي أن المعجزمنه القليل والكثير دون تقييد بالسورة لقوله تعالي " فليأتو بحديث مثله ".

٣ - ذهب آخرون إلي أن الإعجاز يتعلق بسورة تامة ولو قصيرة أو قدرها من الكلام كآية واحدة أو آيات .

ولقد وقع التحدي بالقرآن كله " قل لئن احتمعت الإنس والجن علي أن يأتو بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ". وبعشر سور" فأتو بعشر سور مثله" وسورة واحدة " فأتوا بسورة مثله "

وبحديث مثله "فليأتو بحديث مثله ".

والصحيح لاتري الإعجاز في قدر معين لأننا نجده في أصوات حروفه ووقع كلماته ، كما نجده في الآية والسورة ، فالقرآن كلام الله وكفي .

وأيا كان وجه الإعجاز ، أو القدر المعجز . فإن الباحث الذي يطلب الحق إذا نظر في القرآن من اي النواحي أحب من ناحية أسلوبه أو من ناحية علومه . أو من ناحية الأثر الذي أحدثه في العالم وغير به وجه التاريخ . أو من تلك النواحي مجتمعة ، وجد الإعجاز واضحا جليا .

المبحث الرابع

خصوصيات الرسالة الخاتمة

اختص الله تبارك وتعالي نبية محمدآ صلي الله علية وسلم دون غيره من المرسلين بعدة خصائص ومن أهمها مايلي :

١ ـ عموم رسالته : اقتضت حكمة الله تعالي أن يكون تكليف الناس والتشريع لهم حسب استعدادهم ونضجهم وتقدمهم أو تأخرهم عمليا وفكريا واجتماعيا أو حسب الظروف والأحوال التي يعيشون فيها ويتأثرون بها ليكون الغذاء النفسي كالغذاء الحسي كلائمآ ومفيدآ .

- لذلك كان الله تعالي يرسل إلي كل أمة رسولا يصلح من شأنها ويبلغها الشرع الذي يناسبها . ولم تعم رسالة قبل رسالة محمد صلي الله علية وسلم ، لأن العالم لم يكن قد ارتقي قبله إلي المستوي الذي يشعر فيه بالحاجة إلي تشريع وقانون عام يجمعه تحت راية واحدة .

- ولما جاء وقت الرسالة المحمدية كان المجتمع البشري قد بلغ أشده وأستوي فكريا واجتماعيا وسياسيا . وصار جمعه علي تشريع واحد ممكنا وميسورا ، ولذلك أرسل الله محمدا صلي الله عليه وسلم إلي الناس كافة سواء أكانوا عربا أم غير عرب ، وثنيين أم أهل كتاب ، لهم دين أم لا دين لهم علي الإطلاق .

قال الله تعالي " قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا " وقال تعالي :"وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ".

قال ابن عباس في هذه الآية : إن الله تعالي فضل محمدا صلي الله عليه وسلم علي جميع الأنبياء .

قالوا: فيم فضله الله علي جميع الأنبياء ؟ قال : إن الله تعالي قال : " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه " وقال النبي صلي الله عليه وسلم :

" وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونزيرا" فأرسله الله إلي الجن والانس .

وجاء في الحديث المتفق عليه : عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : أعطيت خمسا لم يعطيهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد من قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلي قومه خاصة وبعثت إلي الناس عامة .

٢ -خاتم النبيين والمرسلين : جاءت الشريعة الإسلامية وقت اكتمال الإنسان في الإدراك ، وتفهم المصالح والمنافع ، فاقتضت حكمة الله تعالي أن تكون هذه الشريعة صالحة لجميع البشر في كل زمان ومكان ، كفيلة بإسعاد المجتمع العالمي كله إذا أخذ بها لأنها عالجت جميع احتياجاته ووضعت الحلول لجميع مشكلاته إما عن طريق التفصيل وإما عن طريق الإجمال وترك التفصيل للعقل البشري يتصرف فيه حسب موازين الشرع وأصوله قال تعالي :"ونزلناعليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدي ورحمة وبشري للمسلمين "

لذلك أصبحت البشرية بعد إرسال محمد صلي الله عليه وسلم إليها ونزول القرآن الكريم ليكون هاديا لها وتشريعا حريصا علي سعادتها غير محتاجة إلي نبي او رسول غيره ، إنها محتاجة فقط إلي أن تجتهد فيما يحدث من أمور لا نص فيها . وقد أعطاها القرآن حق الاجتهاد اعترافا منه ببلوغها رشدها فقال تعالي :

" ولو ردوه إلي الرسول وإلي أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ".

ومن أجل هذا أعلن القرآن أن النبوة قد ختمت بمحمد صلي الله عليه وسلم فلا نبي بعده وبالتالي فلا رسول بعده لأن نفي النبوة نفي الرسالة قال تعالي :" ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بني فأحسنه وأكمله إلا موضع لبنه من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين ".

٣ نصره الله بالرعب وبينه وبين عدوه مسيرة شهر بسير الإبل لأنها كانت وسيلة المواصلات البعيدة يومئذ ، وسيرة الرسول صلي الله عليه وسلم شاهد علي ذلك .

٤ - جعل الله له ولأمته الأرض مسجدا وطهورا فأي رجل من أمته تدركه الصلاة في أي موضع فالموضع مسجده الذي يصلي فيه ، وهو طهوره الذي يتيمم عليه إن لم يجد ماء يتوضأ به . فلا حرج ولا عسر ولا تضييق ولا اشتراط لمكان معين .

٥ - أحل الله الغنائم له ولأمته صلي الله عليه وسلم والغنائم ما يؤخذ من الكفار عقب الجهاد والنصر من متاع وسلاح ومال وغيرها ، وكانت هذه الغنائم محرمه علي الأمم السابقة ولم تحل إلا لأمة محمد صلي الله عليه وسلم .

٦ - أعطاه الله الشفاعة العظمي يوم القيامة ، وهي التي يحمده عليها الأولون والآخرون .

٧ - جعله الله تعالي أفضل المرسلين ، ومبدأ تفضيل الله بعض الرسل علي بعض مقرر في الكتاب الله تعالي . قال تعالي :" تلك الرسل فضلنا بعضهم علي بعض " وقال تعالي " ولقد فضلنا بعض النبيين علي بعض ".

وأما دليل تفضيله صلي الله عليه وسلم علي غيره من المرسلين فهو من كتاب الله تعالي وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم . قال تعالي " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " وقال تعالي " كنتم خير أمة أخرجت للناس ".

قال ابن كثير في هذه الآية " وإنما حازت هذه الامة قصب السبق إلي الخيرات بنبيها محمد صلي الله عليه وسلم فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل علي الله وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبي قبله ولا رسول من الرسل .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وفخر ، وبين يدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ، وأنا أول شافع وأول مشفع ".

الفصل الثاني عشر

الإيمان بالقضاء والقدر

نبيين في هذا الفصل مفهوم القضاء والقدر عند علماء التوحيد وحكم الإيمان بهما ومراتبه وأثره في نفس المؤمن ، ونورد توضيح ذلك فيما يلي :

الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الدين الإسلامي الحنيف . وهو الركن السادس للإيمان ، فمن كفر بقدر الله فقد خرج عن دين الله عز وجل ، مصداقا لقول رسول الله صلي الله عليه وسلم عندما سأله جبريل عن الإيمان ، " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيرة وشره ".

تعريف القضاء والقدر :

اختلف عبارات العلماء في تعريف القضاء والقدر ، فمنهم من جعلهما شيئا واحدا ومنهم من عرف القضاء تعريفا مغاير للقدر فقال :

القدر : علم الله تعالي بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل فهو راجع لصفة العلم .

والقضاء : معناه إيجاد الله تعالي للأشياء حسب علمه وإرادته .

ومن عرفهما تعريفا واحد قال :" هو النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود والقوانين العامة ، والسنن التي ربط بها الأسباب بمسبباتها ".

ويقول صاحب العقيدة الطحاوية " أصل القدر سر الله تعالي في خلقه ، لم يطلع علي ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل . والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ، ودرجة الطغيان ، فالحذر كل من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة ، فإن الله تعالي طوي علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه ، كما قال تعالي " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " فمن سأل : لم فعل ؟ فقد ورد الحكم الكتاب كان من الكافرين ".

وعلي هذا المعني وردت به آيات القرآن التي ذكرت القدر مثل قوله تعالي : " وكل شئ عنده بمقدار " وقال تعالي " وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم " وقوله تعالي " إنا كل شئ خقلناه بقدر ".

وما أجعل جواب الإمام أحمد عندما سئل عن القدر فقال : القدر قدرة الرحمن " فالقدر يعني : ما قرره الله سبحانه في قوله تعالي " قل إن الأمر كله لله " وفي قوله تعالي :" وإليه يرجع الأمر كله" . وقوله تعالي :" فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ ".

ويقول صاحب العقيدة الطحاوية مبينا الأصول التي يرتكز عليها الإيمان بالقدر مايلي :

١ -أن الله عزوجل عالم بالأمور المقدرة قبل كونها ، فيثبت علمه القديم ، وفي ذلك الرد علي من ينكر علمه القديم .

٢ - أن التقدير يتضمن مقادير المخلوقات ، مقاديرها هي صفاتها المعنية المختصة بها فإن الله قد جعل لكل شئ قدرا ، قال تعالي ":وخلق كل شئ فقدره تقديرا"

فالخلق يتضمن التقدير ، وتقدير الشئ في نفسه بأنه يجعل له قدرا ، وتقديره قبل وجوده . فإذا كان قد كتب لكل مخلوق قدره الذي يخصه في كميته وكيفيته كان ذلك أبلغ في العلم بالأمور الجزئية المعينة ، خلافا لمن أنكر ذلك وقال إنه يعلم الكليات دون الجزئيات ! فالقدر يتضمن العلم القديم والعلم بالجزئيات .

٣ -أنه يتضمن أنه أخبر بذلك وأظهره قبل وجود المخلوقات إخبارا مفصلا، فيقضي أنه يمكن أن يعلم العباد الأمور قبل وجودها علما مفصلا ، فبدل ذلك بطريق التنبيه علي أن الخالق أولي بهذا العلم ، فإنه كان يعلم عباده ذلك وكيف لا يعلمه هو؟

٤ - أنه يتضمن أنه مختار لما يفعله ، محدث له بمشيئته ليس لازما لذاته .

٥ - أنه يدل علي حدوث هذا المقدور ، وأنه كان بعد أن لم يكن ، فإنه بقدره ثم يخلقه .

معني الإيمان بالقدر :

يجب علي كل مسلم أن يؤمن بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره . ويقصد بالإيمان بالقدر : الإيمان بعلم الله القديم ، والإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة . وفي بيان ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " الإيمان بالقدر علي درجتين كل درجة تتضمن شيئين :

الدرجة الأولي :

الإيمان بأن الله علم ما الخلق عاملون ،بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال . ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق ، فأول ما خلق الله القلم ، قال له ، اكتب ، قال ما أكتب ؟

قال: اكتب ماهو كائن إلي يوم القيامة ، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، جفت الأقلام وطويت الصحف ، كما قال تعالي :"ألم تعلم أن الله يعلم مافي السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك علي يسير ".

وقال تعالي :" ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك علي الله يسير "

أما الدرجة الثانية :

فهو الإيمان بمشيئة الله النافذة ، وقدرته الشامله . وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . وانه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه ، لا يكون في ملكه مالا يريد ، وأنه سبحانه علي كل شئ قدير من الموجودات والمعدومات ، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ، ولا رب سواه . ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ، ويرضي عن الذين آمنوا ، وعملو الصالحات

ولا يحب الكافرين ، ولا يرضي عن القوم الفاسقين ، ولا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضي لعباده الكفر ولا يحب الفساد . والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن والكافر .

والبر والفاجر والمصلي والصائم ، وللعباده قدرة علي أعمالهم ، ولهم إرادة ، والله خالق قدرتهم وإرادتهم .

ويقول الدكتور محمد نعيم ياسين شارحا كلام ابن تيمية : إن الإيمان بالقدر يشتمل علي أربع مراتب :

الأولي : الإيمان بعلم الله القديم وأنه علم أعمال العباد قبل أن يعملوها .

الثانية : كتابة ذلك في اللوح المحفوظ .

الثالثة : مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة .

الرابعة : إيجاد الله لكل المخلوقات وأنه الخالق وكل ما سواه مخلوق .

هذا وإن تقسيم القدر الذي يجب الإيمان به إلي خير وشر ، وإنما هو بإضافته إلي الناس والمخلوقات .

أما بالنسبة لله عزوجل ، فالقدر خير كله والشر لا ينسب إلي الله . فعلم الله ومشيئته وكتابته وخلقه للأشياء والحوادث ، هذا كله حكمة وعدل ورحمة وخير ، فإن الشر لا يدخل في شئ من صفات الله تعالي . ولا أفعاله ، ولا يلحق ذاته تبارك وتعالي نقص ولا شر ، فعله الكمال المطلق والجلال التام ولذلك لا يجوز إضافة الشر إلي الله تعالي مفردا ، وإنما يجوز أن يدخل الشر في العموم كقوله تعالي :" الله خالق كل شئ " ويجوز أن يضاف إلي السبب كقوله تعالي :" قل أعوذ برب الفلق من شر ماخلق ".

ويجوز أن يذكر بحذف فاعله ، كقوله تعالي فيما حكاه عن الجن " وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا"

والحق أن الله تعالي لم يخلق شرا محضا من جميع الوجوه ، فإن حكمته سبحانه تأبي ذلك ، فلا يمكن من جانبه تعالي أن يريد شيئا يكون فسادا من كل وجه ، ولا مصلحة في خلقه بوجه ما ، فإنه تعالي بيده الخير كله والشر ليس إليه ، بل كل ماإليه خبير ، والشر إنما حصل لعدم النسبة إليه ، فلو نسب إليه لم يكن شرا ، وهو من حيث نسبته إلي الله تعالي خلقا ومشيئته ليش بشر.

فالمرض مثلا شر ومصيبه بالنسبة للإنسان عاجلا ولكنه خير في الأجل ، وخير بالنسبة لله عزوجل لما يعلم ما يعقبه من مغفره للذنوب ، وتطهير النفوس ، وكذلك سجن أعداء الله للمؤمنين شر في ظاهر لما فيه من الآلام والمحن ولكنه تمحيص للنفوس وتطهير للصفوف ، وتربية للأرواح ، فضلاعن الثواب الجزيل والخير العميم وخلق إبليس فيه حكم كثيرة ظاهرة ، كتوبة البشر بعد الذلل، واستخراج عبودية المؤمنين لله تعالي بجهاد إبليس وحزبه ، والصبر علي إغوائه والالتجاء إلي حمي الله ، واللياذ بركنه الركين .

كراهية الخوض في القدر:

إن ما يحتاج إليه المؤمن في القضاء والقدر فيكفيه أن يعلم معناه ودرجاته ، وأن يؤمن به ، وأن الله عليم بكل شئ ، وخالق كل شئ ومالم يشأ لم يكن ، وأنه عادل لا يظلم أحدا ، وأنه حكيم منزه عن العبث ، ولا يحتاج هذا الموضوع إلي أكثر من ذلك ، وما علم الله حاجتنا إليه بينه ، وما طواه عنا لا يجوز أن نتكلف البحث عنه فنختلف ونهلك فإن عقولنا محدودة ، خلقها الله للإسهام في عمارة الأرض وليس وظيفتها اكتشاف الغيب الذي استأثر بعلمه خالقها .

وليس أمامنا إلا التسليم والإيمان بما يعرفها الله عليه من أمور الغيب وقضاياه ومن هذه القضايا : الصله بين خلق الله للأفعال وإرادة الإنسان وفعله لهذا الأفعال .

وليست هذه هي القضية الغيبية الوحيدة التي لا يدرك العقل كنهها ، فصفات الله عزوجل تدرك آثارها ، ولا تدرك كيفياتها ، شأنها شأن الذات الإلهية التي لا يستطيع العقل البشري إدراكها .

ولهذا نهي الرسول صلي الله عليه وسلم عن الخوض في القدر والتعمق فيه ، فقد أخرج الإمام أحمد بإسناده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم ذات يوم والناس يتكلمون في القدر ، قال فكأنما تفقا في وجهه حب الرمان من الغضب .قال : فقال لهم : مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ؟ بهذا هلك من كان قبلكم " وقد جاء رجل إلي الإمام علي رضي الله عنه يسأله عن القدر فقال : طريق مظلم فلا تسلكه ، قال أخبرني عن القدر ، قال : بحر عميق فلا تلجه ، قال : أخبرني عن القدر ، قال : سر الله فلا تكفله "

أثر عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في نفس المؤمن :

للإيمان بالقضاء والقدر فوائد كثيرة نذكر منها :

١ +الاعتماد علي الله تعالي ، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد علي السبب نفسه بل يعتمد بقلبه علي الله عزوجل – وبعلم أن كل شئ بقدر الله عزوجل .

٢ - ألا يعجب المرء بنفسه عند حصوله نعمة من الله تعالي بما قدره من أسباب الخير والنجاح .

٣ - الطمأنينة والراحة النفسية بما يجري عليه من أقدار الله تعالي ، فلا يقلق بفوات محبوب أو حصول مكروه لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السموات والأرض ، وهو كائن لا محالة وفي ذلك يقول المولي – عزوجل – " ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في

كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك علي الله يسير لكيلا تأسوا علي ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور "

ويقول النبي صلي الله عليه وسلم عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن اصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له .

٤ -تهون علي العبد المصائب لعلمه بأن ذلك من عند الله سبحانه ، وما كان من الله – سبحانه – فالرضي به والتسليم له شأن كل عاقل ؛ لأنه خالقه وموجده من العدم ، فهو حقه وملكه يتصرف فيه كيف يشاء ، كما يتصرف العباد في أملاكهم من غير حرج عليهم .

٥ - أن يعتقد العبد أن ما وصل إليه من الخير علي أي صفة وبيد من انفق فهو منه – عزوجل – لما له من العظمة التي تضيق أذهان العباد عن تصورها ، وتقصر عقولهم عن إدراك أدني منازلها . وما أحسن ماقال الحربي – رحمه الله – من لم يؤمن بالقدر لم يتهن بعيش فهذا صحيح ، فما تعاظمت القلوب بالمصائب وضاقت بها الأنفس وحرجت بها الصدور إلا من ضعف الإيمان بالقدر .

الإيمان بالقدرلا ينافي الأخذ بالأ سباب :

الإنسان المؤمن مأمور بالأخذ بالأسباب ، ومع التوكل علي الله تبارك وتعالي ، والإيمان أن الله بيده ملكوت كل شئ ، والإيمان أن الأسباب لا تعطي النتائج إلا بإذن الله سبحانه وتعالي ، فالذي خلق الأسباب هو الذي خلق النتائج والثمار فمن أراد النسل الصالح فلابد أن يتخذ لذلك سببا ، وهو الزواج الشرعي ولكن هذا الزواج قد يعطي الثمار ، وهي النسل ، وقد يعطي ، حسب إرادة العزيز الحكيم ، ومشيئة اللطيف الخبير ، " يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير ".

ولذا يحرم علي المسلم ترك الأخذ بالأسباب ، فلو ترك إنسان السعي في طلب الرزق لكان آثما ، مع أن الرزق بيد الله تعالي .

وقد بين رسول الله صلي الله عليه وسلم أن الأسباب المشروعة هي من القدر ، فقيل له أرأيت لاقي تسترقي بها ، وأدوية تتداوي بها ، هل ترد من قدر الله شيئا : فقال " هي من قدر الله " .

فالالتفات إلي الاسباب ، واعتبارها مؤثر ة في المسببات شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسباب نقص في العقل ، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع .

لذا فقد أمر النبي صلي الله عليه وسلم فقد روي أصحاب السنن عن أسامة بن شريك قال : أتيت النبي صلي الله عليه وسلم وأصحاب فكأنما علي رءوسهم الطير ، فسلمت ثم قعدت ، فجاء الأعراب من ها هنا وها هنا فقالوا : يارسول الله ، أنتداوي ؟ فقال تداووا ، فإن الله عزوجل لم يضع داء إلا وضع له دواء ، غير واحد الهرم "

وفي البخاري عن أبي هريره رصي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ".

وبناء علي هذا الأمر بالتداوي قال الفقهاء باستجابه وقال بعضهم بوجوبه .

وقال صاحب شرح العقيدة الطحاوية " وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب ، وتعاطي الأسباب ، وأن الأمور إذاكانت مقدرة فلا حاجة إلي الأسباب وهذا فاسد فإن الاكتساب منه فرض ، منه مستحب ومنه مكروه ومنه حرام ... وقد كان النبي صلي الله عليه وسلم أفضل المتوكلين ، يلبس درع الحرب ويمشي في الأسواق للأكتساب .

وهكذا كان فهم الصحابة الكرام ، رضوان الله عليهم ، للعلاقة بين الإيمان بالقدر ، وتعاطي الأسباب وأن هذا الثاني داخل في معني الإيمان بالقدر ، ولا ينافيه وإنما هو مقتضي من

مقتضياته . وروي البخاري أن عمر رضي الله عنه لما خرج إلي الشام لقيه أمراء الأمصار ، وأخبروه باتتشار الوباء فيها ، فاستشار المهاجرين والأنصار ، ثم مهاجرة الفتح من مشايخ قريش ، فأجمع المهاجرة علي الرجوع ، بعدا من الوباء ، وأمر بذلك عمر . فقال له أبو عبيدة : أفرارا من قدر الله ، فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة نعم نفر من قدر الله أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان ، إحدهما خصبة والأخري جدبة ، وأليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ".

ولذي بكت عمر بن الخطاب جماعة من أهل اليمن كانوا يحجوا بلا زاد فذمهم ، معاوية بن قرة : لقي عمر بن الخطاب ناسا من أهل اليمن ،فقال :من أنتم قالوا نحن المتوكلون.قال : بل أنتم المتآكلون ، إنما المتوكل الذي يلقي حبة في الأرض ، ثم يتوكل علي الله .

يقول ابن القيم : لاتتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالي . وإن تعطيها يقدح في نفس التوكل وإن تركها عجزا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب علي الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ودفع ما يضره ".

الصفات الخبرية

عند أشهر علماء التفسير والفرق الكلامية

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبة وسلم .

أما بعد ؛؛؛

فإن الله عز وجل – اتصف بصفات الكمال والجمال والجلال ، فاتصف بالقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والمخالفة للحوادث ، وكلها صفات كمال تليق بذاته المقدسة ، وقد جاء فى القرآن الكريم صفات خبرية تفيد أن الله أستوي على عرشه ، وأن له وجهاً وعينا ويداً ومجيئاً ونزولاً ، وأن المؤمنين يرونه يوم القيامة .

وكان منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم واضحاً وهو الإيمان بهذه الصفات كما جاءت فى القرآن والسنة بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل ودليلهم قوله تعالى" **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** "[١].

وقال نعيم بن حماد : من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله نفسه ولا رسوله تشبيه .

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله لا يشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه شى من خلقه وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين ، يعلم كعلمنا ، ويقدر لا كقدرتنا ، ويرى لا كرؤيتنا [٢].

---

[١] سورة الشورى آية (١١) .

[٢] شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفى صـ١١٧ – ١١٨ ط١٩٨٨ المكتب الإسلامى .

ونقوم بمشيئة الله وعونه بدراسة الصفات الخبرية عند علماء التفسير والفرق الكلامية الأخرى . فنوضح آراء العلماء فى صفة الاستواء ، والوجه والعين واليد ، والمجيىء والنزول والمعية ورؤية المؤمنين ربهم فى يوم القيامة ونورد توضيح ذلك فيما يلى:-

الاستواء عل العرش:

يطلق الاستواء فى اللغة على عدة دلائل بمعنى اعتدل تقول سوى الرجل سوى . استقام . وسوى الشيء شد : قومه و عدله ، استوى : استقام واعتدل . استوى من ملك ، واستوى . أقبل تقول العرب : أستوي إلى يخاصمنى : أقبل إلي[١] .

أما مفهوم الاستواء عند العلماء.

فعرفه الإمام على . – كرم الله وجهه – فقال : الاستواء غير مجهول والتكييف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة[٢] وقالت أم سلمه –رضى الله عنها– : الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإقرار به من الإيمان والجحود به كفر .

وجاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس فقال : يا أبا عبد الله " **الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى** "[٣] كيف أستوى ؟ فقال الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة [٤].

وإذا ألقينا الضوء على آراء علماء التفسير والعقيدة عند تفسير قوله تعالى: " **الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى** "[٥] نجد أنهم اختلفوا فى معنى الاستواء إلى عدة آراء.

الرأى الأول

ذهب البعض من علماء التفسير إلى وجوب الإيمان بالاستواء وتفويض حقيقته إلى الله – عز وجل – فنرى الإمام اين الجوزى يقول : أجمع السلف على ألا يزيدوا على قراءة الآية[١].

---

(١) لسان العرب : جمال الدين ابن منظور جـ١٤ / ٤١٤ ط دار الفكر ، القاموس المحيط صـ١٢٧ الريان ١٩٨٧ المعجم الوجيز ص ٣٣٠ طـ١٩٩٩ .

(٢) تفسير النسفى مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى جـ٥٤/٢، ٥٥ ط دار الكتب العلمية .

(٣) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام أبى القاسم هبه الله بن الحسن بن منصور الطبرى اللالكائى جـ٢ / ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

(٤) سورة طه آية (١١٥) .

(٥) زاد المسير فى علم التفسير للإمام أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على محمد الجوزى القرشى البغدادى جـ٢١٢/٣ – ٢١٣ طـ١٩٩٤ المكتب الإسلامى .

و يقول الشيخ محمد على الصابونى : الرحمن : استوى على عرشه استواء يليق بجلاله من غير تجسيم ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل[٢].

ويقول الإمام النسفي : والمذهب قول على رضي الله عنه الاستواء غير مجهول والتكييف غير معقول والإيمان يسه واجب والسؤال عنه بدعة[٣].

الرأى الثانى :

و ذهب إلى التأويل : فمنهم من أول الاستواء بالاستيلاء وإلى هذا ذهب علماء المعتزلة وبعض الأشاعرة والماتريدى والجهمية فيقول الإمام الزمخشرى وهو معتزلي عند تفسير قوله تعالى" **الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى** "[٤] لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يرادف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا أستوى فلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البتة : وقالوه أيضاً لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وإن كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر[٥].

تفسير الاستواء بالاستيلاء مردود عند بعض أهل السنة من عدة وجوه.

الوجه الأول : إن الاستيلاء معناه الغلبة بعد العجز وذلك محال فى حق الله تعالى.

الوجه الثانى: إنما يقال فلان استوى على كذا إذا كان له منازع ينازعه وكان المستولى عليه موجودا قبل ذلك. وهذا فى حق الله تعالى محال.

الوجه الثالث: أن الاستيلاء حاصل على كل المخلوقات فلا يبقى لتخصيص العرش بالذكر فائدة[٦] وقد أول الإمام الرازى الاستواء بالاقتدار[١] .

---

(١) صفوة التفاسير لمحمد بن على الصابونى جـ٢/٢٣٠ – دار الصابونى .

(٢) تفسير النسفى جـ٢/٥٤ – ٥٤ .

(٣) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى جـ٢/٥٣٠ طـ دار المعرفة .

(٤) تفسير النسفى جـ٢ / ٥٤ – ٥٥ .

(٥) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى جـ٢/٥٣٠ ط دار المعرفة .

(٦) تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب جـ٧/٢٢ ط الأولى – دار الفكر العربى .

وهناك رأى باطل يقول " إن الله – عز وجل – مماس للعرش وهؤلاء هم المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه[٢] " .

والرأى الراجح فى هذه المسألة ما ذهب إليه السلف الصالح من وجوب الإيمان بصفة الاستواء بلا تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل . وهذا ما ذهب إليه سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين . . رضوان الله عليهم .

الوجـــه

ورد ذكر وجه الله – تبارك وتعالى– فى عدة آيات كثيرة نذكر منها قوله تعالى : فى شأن التوجه إلى القبلة فى أداء الصلاة " **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**"[٣] .

وقوله تعالى" **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** "[٤] .

وقوله تعالى" **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ**"[٥].

وانقسم علماء التفسير فى معنى الوجه على ثلاثة آراء :

الرأى الأول:– يرى أن الوجه معناه معلوم ولكن كيفيته مجهولة ، ولا نعلم كيف وجهه – عز وجل – كسائر صفاته ولكننا نؤمن بأن له وجها موصوفا بالجلال والإكرام وموصوفا بالبهاء والعظمة والنور[٦].

وهذا منهج السلف الصالح وكانوا يقولون إن البشر لا يعلمون لله حداً وأنهم لا يحدون شيئاً من صفاته .

---

(١) المرجع السابق جـ٧/٢٢ ، التفسير الكبير للإمام تقى الدين ابن تيمية جـ١٠٩/٦ ، ١١٠ ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

(٢) الممل والنحل لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى جـ١١٧/١ المكتبة التوفيقة .

(٣) سورة البقرة آية (١١٥) .

(٤) سورة القصص آية (٨٨) .

(٥) سورة الرحمن آية (٢٧) .

(٦) شرح العقيدة الوسطية بن صالح العثيمين ص ١٧٤ ط دار الدعوة .

وقال أبو داود الطيالسى: كان سفيان الثورى وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة ، لا يحصدون ولا يشبهون ولا يمثلون ويروون الحديث ولا يقولون كيف؟ وقال الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – له يد و وجه ونفسى كما ذكر تعالى فى القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس ، فهو صفة بلا كيف ، ولا يقال : إن يده قدرت ونعمته لأن فيه إبطال الصفة. [١]

كما أن السلف الصالح توقفوا عن التأويل وقالوا : عرفنا بمقتضى العقل أن الله تعالى " :ليس كمثله شى "، فلا يشبهه شى من المخلوقات ولا يشبه شيئاً منها ، وقطعنا بذلك إلأ إنا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه ، مثل قوله تعالى"**الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**" [٢]، "**خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** [٣]"،"**وَجَاءَ رَبُّكَ** [٤]"، فلسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها بل التكليف ورد بالاعتقاد بأنه لا شريك له وليس كمثله شى وقد أثبتناه يقينا ".

الرأى الثانى : يرى أن المراد من وجه الله تعالى ذاته وإلى هذا ذهب بعضى جمهور المفسرين فيقول الإمام الزمخشرى عند تفسير قوله تعالى" **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** [٥]" إن المراد من الوجه ذاته[٦].

ويقول الإمام ابن كثير – رحمه الله تعالى: "إن كل الذوات فائية وزائلة إلأ ذاته تعالى ،فإنه الأول والآخر الذى قبل كل شيئا وبعد كل[٧] .

ويقول الإمام النسفى : إن المراد من الوجه ذاته[٨].

الرأى الثالث المشبهة:

---

[١] شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٨ – ٢١٩ .

[٢] سورة طه آية (٥) .

[٣] سورة ص آية (٧٥) .

[٤] سورة الفجر آية (٢٢) .

[٥] الممل والنحل جـ١٠٤/١ .

[٦] تفسير الكشاف جـ٤٦/٤ .

[٧] تفسير ابن كثير جـ٣٨٩/٣ .

[٨] تفسير النسفى ٦٣٠/٢ ، صفوة التفاسير جـ٢٩٦/٣ .

قالوا: إن معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاض ، ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن[١] ولا نقول أمام هذا الخطأ الظاهر والواضح إلا قوله سبحانه وتعالى سبحان وتعالى:"**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ** [٢]" واختلف المفسرون فى تفسير تفسير قوله تعالى :" **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** [٣]"

ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد من وجه الله هنا أى جهته التى أمر بها ورضيها . والمعني : أنكم إذا منعتم أن تصلوا فى المسجد الحرام وفى بيت المقدس فقد جعلت لكم الأرض مسجداً فصلوا فى أى بقعة شئتم من بقاعها ، وفعلوا التولية فيها فإن التولية ممكنة فى كل مكان لا يختص إمكانه فى مسجد دون مسجد و لا فى مكان دون مكان[٤].

وقال ابن عمر نزلت فى صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت ، وقال عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا فى أنحاء مختلفة ، فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا . وقال ابن عباس قبلة الله أينما توجهت شرقا أو غرباً[٥] وقال بعض العلماء أن المراد بالوجه هنا وجه الله الحقيقى. والمراد إلى أى جهة تتوجهون ، فثم وجه الله سبحانه وتعالى ، لأن الله محيط بكل شى . وهذا الوجه العظيم الموصوفا بالجلال والإكرام وجه لا يمكن الإحاطة به وصفاً ولا تصورا[٦].

واستدل أنصار هذا الرأى ، أخرجه الإمام البخارى فى صحيحة عن أنس أن النبى – صلى الله عليه وسلم – رأى نخامة فى القبلة فشق ذلك عليه –صلى الله عليه وسلم – حتي رؤى فى وجهه ، فقام فحكه بيده . فقال إن أحدكم إذا قام فى صلاته فإنه يناجى ربه

---

(١) الممل والنحل جـ١/١١٧ .

(٢) الصفات آية (١٨٠-١٨٢) .

(٣) سورة البقرة آية (١١٥) .

(٤) الكشاف للزمخشرى جـ١/٣٠٧ ، النسفى جـ١/٧٧ .

(٥) تفسير ابن كثير جـ١/٧٧ ، صفوة التفاسير محمد على الصابونى جـ١/٨٩ .

(٦) شرح العقيدة الوسطية محمد بن صالح العثيمين ص ١٧٧ – ١٧٨ .

أو إن ربه بينه وبين القبلة فلا يزقن أحدكم قبل قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدميه ، ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه ثم رد بعضه على بعض فقال أو يفعل هكذا[١] وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بصاقاً فى جدارة القبلة فحكه ثم أقبل على الناس فقال : إذا كان أحدكم يصلى فى يبصق قبل وجهه فان الله قبل وجهه لذا صلى.

وقال الخطابى : معناه أن توجهه إلى القبلة مفضل بالقصد إلى ربه فصار فى التقدير : فان مقصوده بينه و بين قبلته " وقيل هو على حذف مضاف أى عظمة الله أو ثواب الله . وقال ابن عبد البر : هو كلام خرج على التعظيم لشأن القبلة"[٢] .

والرأى الراجح إننا نؤمن بما أثبته الله – عز وجل – فى كتابه من الصفات بلا كيفية ولا تمثيل ولا تأويل ويكون نصب أعيننا قوله تعالى: " **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** [٣]".

العيــن :

وردت صفة العين فى آيات كثيرة من القرآن الكريم مثل قوله تعالى:"**وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا** [٤]" وقوله تعالى :" **وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** [٥]" وقوله تعالى : " **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** [٦]"

وانقسم علماء التفسير فى معنى العين إلى ثلاثة آراء : –

الرأى الأول : وهو رأى أهل السنة والجماعة فيرون إثبات صفة العين كما جاءت فى القرآن الكريم والسنة بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل[٧].

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لبن حجر العسقلانى "كتاب الصلاة باب حك البزاق من المسجد" جـ٦٦/٣ .

(٢) المرجع السابق جـ٦٦/٣.

(٣) سورة الشورى آية (١١) .

(٤) سورة طه آية (٣٩) .

(٥) سورة الطور آية (٤٨) .

(٦) سورة القمر آية (١٤) .

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى جـ٤١٢/٢ .

الرأي الثاني: يرى جمهور المفسرين أن المراد من العين الرؤيا وإلى هذا ذهب ابن كثير والنسفى والزمخشرى والرازى . فيقول الامام ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: " **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** " أى بمرآى منا و تحت حفظنا[١].

ويقول الإمام النسفى : "بمرأى منا أو بحفظنا[٢]" ويقول الإمام الطبرى عند تفسير قوله تعالى: " **فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**" يقول جل ثناؤه فإنك بمرآى منا نراك ونرى عملك ونحن نحوطك ونحفظك فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين[٣].

ويقول الإمام الزمخشرى عند تفسير قوله تعالى:"**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** " أي تربى ويحسن إليك وأنا مراعيك وراقبك كما يراعى الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى به.

كما تقول للصانع اصنع هذا على عينى أنظر إليك لئلا تخالف به عن مرادى وبغيتى[٤] .

الرأى الثالث: رأى المشبهة الذين شبهوا صفاته – عز وجل – بصفات خلقه . فقالوا : إن عينه كسائر الأعين . واستدلوا على ذلك بما أخرجه الإمام البخارى فى صحيحة . عن عبد الله قال : ذكر الدجال عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله لا يخفى عليكم وإن الله ليس بأعور ،وأشار بيده إلى عينه . وإن المسيح أعور عين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية[٥]".

وقال قتادة : سمعت أنسا – رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه سلم قال : ما بعث الله من نبى إلا أنذر قومه الأعور الكذاب إنه أعور وإن ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه كافر[٦]".

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤/٢٦٦ .

(٢) تفسير النسفى جـ٢/٦٢٢ ، الفخر الرازى جـ٢٧/٢٧٤ .

(٣) تفسير جامع البيان فى تفسير القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى جـ٢٧/٢ دار المعرفة .

(٤) الكشاف للزمخشرى جـ٢/٥٣٦ ، ٥٣٧ .

(٥) أخرجه البخارى ٩٧ كتاب التوحيد ، ٧ باب قوله تعالى : "

(٦) ولتصنع على عينى جـ١٣ ، ٣٨٩ .

ورد على المشبهة باستحالة الجسمية عليه سبحانه وتعالى لأن الجسم حادث وهو قديم فدل على أن المراد نفى النقص عنه.

وقال ابن المنير وجه الاستدلال على إثبات العين لله من حديث الدجال من قوله إن الله ليس بأعور من جهة أن العور عرفا عدم العين وضد العور ثبوت العين فلما نزعت هذه النقيصة لزم ثبوت الكمال بضدها وهو وجود العين وهذا على سبيل التمثيل والتقريب لفهم لا على معنى إثبات الجارحة[١].

والراجح ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات صفة العين لله – عز وجل – كما أثبتها الله تعالى فى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم – بلا تشبيه ولا تأويل ولا تمثيل وهذا أسلم الآراء وأصوبها.

اليـد

ورد ذكر اليد فى القرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة . فقد جاءت مفردة ومثنى وجمعا فجاءت مفردة فى قوله تعالى: " **قُلْ إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّـهِ** [٢]" وقوله تعالى:" **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** [٣]" وقوله تعالى:" **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** [٤]".

وجاءت مفردة مثنى فى قوله تعالى:" **وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** [٥]".

وجاءت اليد جمعاً فى قوله تعالى:" **أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً** [٦]".

وانقسم العلماء فى تفسير اليد إلى ثلاثة آراء : –

---

[١] فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى جـ ١٣/٣٩٠ .

[٢] سورة آل عمران آية (٧٣) .

[٣] سورة الفتح آية (١٠) .

[٤] سورة الذاريات آية (٤٧) .

[٥] سورة المائدة آية (٦٤) .

[٦] سورة يس آية (٨٣) .

الرأى الأول : يرى أهل السنة والجماعة إثبات صفة اليد لله تبارك وتعالى وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يجسدون فيه صفة محصورة . وقال القاضى أبو يعلى: لا تجاوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها وأنها صفات الله لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق ولا يعتقد التشبيه فيها(١).

الرأى الثانى : وهو رأى المشبهة فقد ذهبوا إلى أن يد الله عبارة عن عضو جسمانى كما فى حقى كل واحد . وظنوا أن اتفاق الصفات فى الأسماء يستلزم اتفاقها فى المسميات وهذا ظن ضال(٢).

واحتجوا على رأيهم الباطل بقوله تعالى:" **أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا** (٣)" ووجه استدلالهم بهذه الآية : أن الله – عز وجل – قدح فى إلهية الأصنام لأجل أنها ليس لها شى من هذه الأعضاء ، فلو لم تحصل لله هذه الأعضاء لزم القدح فى كونه إلها، ولما بطل ذلك وجب إثبات هذه الأعضاء له(٤).

ومن المشبهة من ذهب إلى أبعد من ذلك فأجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة ، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه فى الدنيا والآخرة إذا بلغوا فى الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض(٥).

إن هذا القول يوصف صاحبه بالكفر الواضح . وهذا الكلام لا يصدر ممن لدية مثقال حبة من خردل من عقل ، فمن أين أتوا بهذه الأوصاف الفاضحة؟ ولا يسعنا إلا أن

---

(١) القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى محمد بن صالح العثيمين ص٤٥ ط١٩٩٩ مكتبة العلم .

(٢) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة جـ٤١٢/٢ .

(٣) سورة الأعراف آية (١٩٠) .

(٤) تفسير الفخر الرازى جـ٤٥/١٢ .

(٥) الملل والنحل جـ١١٨/١ .

نقول أمام هؤلاء الذين شبهوا الله بخلقه قوله تعالى:"**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** "[١]

الرأى الثالث : قالت المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والجهمية بتأويل"اليد" بلفظ يتناسب مع جلال الله وعظمته فأولوها بالقدرة تارة وبالقوة تارة أخرى وبالنعمة ثالثة .

وذهب علماء التفسير إلى القول بالتأويل حسب موقع اليد من الآية فتجد الإمام ابن كثير يقول عند تفسير قوله تعالى:" **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ** [٢]" .اى بقوة قاله ابن عباسى و مجاهد وقتادة والثورى و غير واحد[٣] ويقول الإمام النسفى أن المراد " بأيد " أى بقوة والأيد القوة" [٤].

واختلف علماء التفسير عند قوله تعالى :" **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** [٥]" فقال الزجاج : ذهب قوم إلى أن معنى يد الله "نعمته . وهذا خطأ ينقضه قوله تعالى:" **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**" فيكون المعنى على قولهم : نعمتاه ، ونعم الله أكثر من أن تحصل . والمراد بقوله:" **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**" أنه جواد ينفق كيف يشاء وإلى نحو هذا ذهب إبن الأنبارى . وقال ابن عباس : إن شاء وسع فى الرزق وأن شاء قتر[٦].

وقال الإمام الرازى : في سبب نزول الآية الكريمة أنها نزلت فى اليهود وكانوا أكثر مالا وثروة ، فلما بعث الله محمداً كذبوا به فضيق الله عليهم المعيشة فعند ذلك قالت اليهود: "يد الله مغلولة" أى مقبوضة عن العطاء فنزلت الآية تكذب ما قاله اليهود وتثبت أن الله جواد كريم ، فغل اليد وبسطها مجاز مشهور عن البخل والجود[٧].

---

[١] سورة الشورى آية (١١) .

[٢] سورة الذاريات آية (٤٧) .

[٣] تفسير ابن كثير جـ٢٣٩/٤ .

[٤] تفسير النسفى جـ٦٠٤/٢.

[٥] سورة المائدة آية (٦٤) .

[٦] تفسير زاد المسير فى علم التفسير جـ٣٩٤/٢.

[٧] تفسير الفخر الرازى جـ٤٣/١٢ – ٤٤ الكشاف للزمخشرى جـ٦٢٧/٤ .

ويؤيد ذلك الحديث الصحيح الذى أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة – رضى الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال " يمين الله ملأى لا يغيضيها نفقة سحاء الليل والنهار. أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض ؟ فإنه لم ينقص ما فى يمينه ، وعرشه على الماء وبيده الأخرى القبض يرفع ويخفض[١].

والراجح ما ذهبى إليه أهل السنة والجماعة وهو منهج السلف الصالح – رضوان الله عليهم – من وجوب الإيمان بهذه الصفات من غير تأويل ولا تجسيم ولا تحديد ولا تمثيل.

المجيء والنزول

جاء في القرآن الكريم آيات تثبت صفة الإتيان والمجيء مثل قوله تعالى:" **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ** [٢]" وقوله تعالى :" **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاً** [٣]".

وانقسم العلماء في مفهوم النزول والمجيء إلى ثلاثة آراء : –

الرأى الأول : ذهب أهل السنة والجماعة إلى إثبات كل ما جاء فى القرآن الكريم من فوقية وتحتية واستواء على العرش ، ووجه ويعد ومحبه وبغض من غير تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل . وهذا مذهب السلف الصالح[٤].

الرأى الثانى:– وهو رأى المشبهة : فقد شبهوا نزول المولى – عز وجل – بنزول خلقه مبالغة فى الإثبات وهذا انحراف فى التنزيه[٥].

الرأى الثالث :– ذهب بعض جمهور المفسرين إلى تأويل الآيات تأويلا يتناسب مع جلال الله – عز وجل – وعظمته . وإلى هذا ذهب الإمام النسفى والزمخشرى والرازي .

---

(١) أخرجه البخارى . أنظر فتح البارى لابن حجر العسقلانى ٩٧ كتاب التوحيد ٢٢ (باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم) ، جـ٤٠٣/١٣ .

(٢) سورة البقرة آية (٢١٠) .

(٣) سورة الفجر آية (٢٢) .

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام محمد ابو زهرة ص ١٩٦ ط دار الفكر العربى .

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة جـ٤١٢/٢ .

فيقول الامام النسفى عند تفسير قوله تعالى :" **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاً** " هذا تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه ، فإن واحدا من الملوك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصه[١]

وقال ابن عباس – رضى الله عنه–أن المراد من المجيء أمره وقضاؤه . وقال القاضى أبو يعلى : أن المراد من المجيء قدرته وأمره[٢].

وممن قالوا بتأويل الآيات و صرفها من المعنى الحقيقى الى المعنى اللغوى الماتريدى والإمام الغزالى وهذا ما رجحه الإمام محمد أبو زهره فنراه يقول: "إن الصحابة كانوا يفسرون بالمجاز إن تعذر إطلاق الحقيقة كما يفسرون بالحقيقة فى ذاتها فيصح أن نفسر اليد بالقوة أو النعمة ، ويصح أن نفسر الوجه بالذات والنزول إلى السماء بمعنى قرية" – سبحانه وتعالى – من العباد ، وأن اللغة تتسع لهذه التفسيرات والألفاظ تقيل هذه المعانى[٣].

ومن الأحاديث التى أثبتت نزول المولى – تبارك وتعالى – حديث البخارى الذى أخرجه عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : ينزل ربنا – تبارك وتعالى – كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ و من يستغفرنى فأغفر له [٤] وتباينت آراء العلماء فى مفهوم النزول : فمنهم من أجراه على ما ورد مؤمناً به على طريقة الإجمال منزها الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف . فى هذا يقول الإمام أحمد بن حنبل : ينزل كيف يشاء بعلمه وقدرته وعظمته أحاط بكل شى علماً لا يبلغ قدره واصفه ولا ينأى عنه هروب هارب[٥].

---

(١) تفسير النفسى جـ٢/٨٠٥ ، تفسير الزمخشرى جـ٤/٢٥٣ .

(٢) زاد المسير فى علم التفسير جـ١/٢٢٥.

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٩٨ .

(٤) أخرجه البخارى . أنظر فتح البارى لابن حجر العسقلانى ١٩ (كتاب التهجد) ١٤ باب الدعاء والصلاة من آخر الليل جـ٣/٢٩ .

(٥) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى جـ٢/٤٥٣ .

ومن العلماء ومن أول النزول على وجه يليق بذاته –سبحانه وتعالى – وهو نزول علمه وقدرته[١].

ويرى الإمام الغزالى أن التأويل فى هذا الحديث من وجهين : –

الوجه الأول : إضافة النزول إلى الله – سبحانه وتعالى – على سبيل المجاز وفى الحقيقة مضاف إلى ملك من الملائكة .

كقوله تعالى: " **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ** [٢]" والمسئول بالحقيقة أهل القرية .

الوجه الثانى : أن لفظ النزول على سبيل التلطف والرحمة[٣].

ومن الفرق الكلامية التى أنكرت صحة أحاديث النزول المعتزلة والخوارج. وهذا مكابرة منهم .

والراجح فى فهم أحاديث النزول منهج السلف الصالح وهو الإيمان بلا كيف والسكوت عن المراد إلأ أن يرد ذلك عن الصادق فيصار إليه[٤] .

المعية

ورد إثبات معية الله – عز وجل – لعباده فى القرآن الكريم والسنة فقد جاءت آيات كثيرة تبين معية الله تعالى لخلقة نذكر فيها قوله تعالى" **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** [٥]".

وقوله تعالى:" **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** [٦]" فهذه الآيات تتحدث عن المعية العامة للخلق والتى تشملهم جميعاً

---

(١) إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن بن اللبان الشافعى ص ١١٧ ط ٢٠٠٢ دار البيان العربى.

(٢) سورة يوسف آية (٨٢) .

(٣) الاقتصاد فى الاعتقاد لأبى حامد الغزالى ص ٣٩-٤٠ ط١٩٨٨ دار الكتب العلمية .

(٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ٣/٣٠ .

(٥) سورة الحديدة آية (٤) .

(٦) سورة المجادلة آية (٤) .

مؤمنهم وكافرهم إنسهم وجنهم معية علم وإحاطة . وهذا ما أشار إليه جمهور المفسرين فنرى الإمام ابن كثير يقول عند تفسير قوله تعالى" **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**" أى رقيب عليكم و شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم فى بر أو بحر فى ليل أو نهار فى البيوت أو فى القفار فالجميع فى علمه على السواء وتحت تصميمه وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ويعلم سركم ونجواكم[١].

ويقول الإمام النسفى عند تفسير قوله تعالى" **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** " أى بالعلم والقدرة عموما وبالفضل والرحمة خصوصا[٢] .

كما جاء فى القرآن الكريم أيضاً آيات تتحدث عن المعية الخاصة مثل قوله تعالى: " **لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** [٣]" وقوله تعالى: " **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** [٤]" وقوله تعالى: " **وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** [٥]" .

فهذه الآيات الكريمة اعتبرها علماء التفسير بأنها معية خاصة للأنبياء والمؤمنين الصالحين . وتكون بمعنى الرعاية والعناية والحفظ والتوفيق فيقول الإمام النسفى عند تفسير قوله تعالى:" **لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** " اى معنا بالنصرة والحفظ[٦] .

ويقول الإمام ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: " **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** [٧]" أى بتأييده ونصره ومعونته وهديه وسعيه . وهذه معية خاصة . ويقول الإمام

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤/٣٠٥ .

(٢) تفسير النسفى جـ٢/٦٤٥ .

(٣) سورة التوبة آية (٤٠) .

(٤) سورة النحل آية (١٢٨) .

(٥) سورة الأنفال آية (٤٦) .

(٦) تفسير النسفى جـ٢/٦٤٥ ، تفسير ابن كثير جـ٢/٣٤٣ .

(٧) سبق تخريجها .

النسفى عند تفسير قوله تعالى:"**قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا**[١]" أى حافظكما وناصر كما . أسمع " أقوالكم " وأرى[٢] " أفعالكما.

وانقسم علماء العقيدة فى مفهوم معية الله لعباده على ثلاثة آراء:

الرأي الأول : وهو مذهب السلف الصالح فيرون إثبات هذه الصفات وحملها علي الحقيقة لا على المجازر إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون صفة محدودة . فهذه المعية على حقيقتها لكنها معية تليق بالله تعالى ولا تشبه معية أى مخلوق لمخلوق كما أن المعية تقتضى الإحاطة بالخلق علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً[٣].

الرأى الثانى : ذهبت الحلولية وهم من قدماء الجهمية إلى أن الله بذاته فى كل مكان ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً[٤].

الرأى الثالث : ذهب الأشاعرة والماتريدية ومن تبعهم إلى أن المعية يجب أن تؤول تأويلاً يليق بذات الله وجلاله وكمال صفاته فأولوها بالعلم والإحاطة والسمع والبصر . وهذا فى شأن المعية العامة . أما المعية الخاصة فيجب أن تأول بالرعاية والعناية والهداية والتوفيق[٥] والتوفيق[٥] .

وهذا الرأى سلكه علماء التفسير فقد رأيناهم فسروا المعية بالعلم والقدرة والسمع والبصر والإحاطة والعناية .

ومن الأحاديث التى أثبتت صفة المعية ما أخرجه الإمام البخارى فى صحيحة عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : النبى صلى الله عليه وسلم . يقول الله تعالى : "أنا عند

---

(١) سورة طه آية (٤٦) .

(٢) تفسير النسفى جـ٦١/٢ ، الكشاف للزمخشرى جـ٥٣٧/٢ .

(٣) شرح العقيدة الوسطية محمد بن صالح العثيمين صـ٢٤٧ .

(٤) الملل والنحل للشهرستانى جـ١٢٢/١ ، التفسير الكبير للإمام العلامة تقى الدين ابن تيمية جـ١١٩/٦ دار الكتب العليمة ط ١٩٨٨ .

(٥) تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهره صـ ١٩٩ .

ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملأ خير منهم [١]".

فيشير هذا الحديث القدسى إلى ذكر المعية الخاصة بأن الله – عز وجل– يكون قريباً من عبده ، فإذا ذكره العبد فى نفسه بالتقديس والتنزيه سرا ، ذكره الله بالثواب والرحمة سراً . فالذكر من أكبر العبادات فمن ذكره وهو خائف أمنه ، أو مستوحش أنسه قال تعالى" **أَلاَ بِذِكْرِ اللَّـهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** [٢]". وإذا ذكر العبد ربه فى جماعة ذكره الله فى الملأ الأعلى . فالحديث الشريف أثبت معية الله لعبده المؤمن الصالح فهى معية هداية ومغفرة ورحمة وعناية .

وتبقى مسألة مهمة يثيرها بعض العلماء وهى أن صفة المعية لا تعارض علو الله – عز وجل – واستوائه على عرشه ، فقد جمع الله – تبارك وتعالى – بينهما فى آية واحدة إذ يقول تعالى" **هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** [٣]".

---

[١] أخرجه البخارى . أنظر : فتح البارى شرح البخارى لابن حجر العسقلانى ٩٧ (كتاب التوحيد) ٥باب "ويحذركم الله نفسه" جـ١٣/٣٨٤ .

[٢] سورة الرعد آية (٢٨) .

[٣] سورة الحديد آية (٤) .

ووجه الجمع من وجوه ثلاثة:

الأول : أنه ذكر استواءه على العرش ثم قال" **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** " إذا جمع الله لنفسه بين وصفين فإننا نعلم علم اليقين أنهما لا يتناقضان ، لأنهما لو تناقضا لاستحال اجتماعهما إذ المتناقضين لا يجتمعان ولا يرتفعان فلابد من وجود أحدهما و انتفاء الثانى . ولو كان هناك تناقض لزم أن يكون أول الرواية مكذبا لآخرها أو بالعكس.

الثانى : إنه قد يجتمع العلو والمعية فى المخلوقات كقول القائل مازلنا نسير والقمر معنا. قال شيخ الإسلام اين تيمية: " القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع فى السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان" . فهذا المثل تقريبا للمعنى وتحقيقا لصحة كون الشمس مع الإنسان حقيقة مع تباعد ما بينهما . وذلك أن القمر من أصغر المخلوقات وهو فى السماء مع المسافر وغيره أينما كان ، فإذا كان هذا المخلوق وهو أصغر المخلوقات تقول : إنه معنا، وهو فى السماء . ولا يعد ذلك تناقضا ولا يقتضى اختلاطا فلماذا لا يصح أن تجرى آيات المعية على ظاهرها ونقول : هو معنا حقيقة وإن كان هو فى السماء فوق كل شئ .

الثالث : لو تعذر اجتماعها فى حق المخلوق ، لم يكن متعذراً فى حق الخالق ، لأن الله أعظم وأجل ، ولا يمكن أن تقاس صفات الخالق بصفات المخلوقين لظهور التباين بين الخالق والمخلوق[١].

لقوله تعالى:" **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** [٢]".

---

[١] شرح العقيدة الوسطية صـ ٢٤٦ ــ ٢٤٨ .

[٢] سورة الشورى آية (١١) .

رؤية المولى – عز وجل – فى الآخرة للمؤمنين

انقسم العلماء فى مسألة رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة على رأيين :

الرأي الأول : يمثله جمهور العلماء من السلف والخلف فقد ذهبوا إلى جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة بلا كيفية ولا جهة ولا تمثيل ولا تأويل – وإلى هذا ذهب جمهور المفسرين واستدلوا على ذلك بالأدلة التالية:

أولاً :- قوله تعال:" **إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** [١]".

يقول الإمام ابن كثير: إن ثبوت رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة أمر مجمع عليه من الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام[٢] .

ويقول الإمام الشوكانى فى فتح القدير : إن المؤمنين ينظرون إلى ربهم بلا كيفية ولا حد محدود ولا "صفة مخلوقة"[٣] .

ويقول الإمام أبو الحسن الأشعرى مبينا رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة "أن كل موجود يصبح أن يرى ، والبارى تعالى موجود فيصبح آن يرى بلا جهة ولا مكان ولا صورة ومقابلة واتصال شعاع أو على سبيل انطباع فإن كل ذلك مستحيل"[٤]".

ثانيا : واستدلوا بقوله تعالى:" **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ** [٥]" فالمراد من الزيادة النظر إلى وجهه الكريم . وإلى هذا التفسير ذهب جمهور الصحابة والتابعين ومن تابعهم بإحسان من أئمة الفقه والحديث أن المراد من الزيادة النظر إلى وجهه الكريم سبحانه وتعالى.

ثالثا : استدلوا بقوله تعالى: " **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** [١]" فيقول الإمام الشافعى – رحمه الله – ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه –عز وجل[٢] .

---

[١] سورة القيامة آية (٢٣) .

[٢] تفسير ابن كثير جـ٤/٤٥٠ .

[٣] فتح القدير محمد بن على الشوكانى جـ٥/٣٤٠ دار الفكر العربى معالم التنزيل لأبى محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوى جـ٤/٤٢٤ دار المعرفة بيروت – لبنان تفسير النسفى جـ٢/٧٥٤.

[٤] الملل والنحل للشهر ستانى جـ١/١١٢ – ١١٣ .

[٥] سورة يونس آية (٢٦) .

واحتج الإمام مالك على رؤية المؤمنين لله تبارك وتعالى – من جهة دليل الخطاب وإلا فلو حجب الكل لما أغنى هذا التخصيص فنراه يقول : "لما حجب – " عز وجل – أعداءه فلم يروه تجلى – جل شأنه لأوليائه حتى رأوه[٣].

رابعا : استدلوا بالأحاديث الصحيحة التى أثبتت رؤية المؤمنين ربهم ومنها.

ما أخرجه البخارى فى صحيحة عن جرير قال" : كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال : "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته " [٤].

عن صهيب عن النبى – صلى الله عليه وسلم قوله:" **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ** " قال : إذا دخل أهل الجنة نادى مناد : إن لكم عند الله موعداً ؟

قالوا: ألم يبيض وجوهنا وينجينا من النار ويدخلنا الجنة ؟ قالوا : بلى قال: فيكشف الحجاب ، فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه[٥].

وأخرج الإمام الترمذى فى صحيحة أيضا عن جرير بن عبد الله البجلى قال : كنا جلوسا عند النبى – صلى لله عليه وسلم – فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا[٦] " .

الرأى الثانى : ذهبت المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة إلى إنكار رؤية المولى – عز وجل – واستدلوا على ذلك بما يلى:

---

(١) سورة المطففين آية (١٥) .

(٢) تفسير ابن كثير جـ٤/٤٨٧ .

(٣) روح المعانى لشهاب الدين محمد الألوسى البغدادى جـ٣٠/٧٣ مكتبة دار التراث الإسلامى.

(٤) أنظر فتح البارى شرح صحيح البخارى ٩٧ كتاب التوحيد ٢٤ باب قوله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظره جـ ١٣ / ٤١٩ .

(٥) أخرجه الإمام الترمذى فى الجامع الصحيح ٣٩ كتاب صفة الجنة ١٦ باب ما جاء فى رؤية الرب تبارك وتعالى جـ٤/٦٨٧ .

(٦) المرجع السابق جـ٤/٦٨٧ .

أولاً: قوله تعالى على لسان موسى حينما سأل ربه – عز وجل – الرؤية فقال له " **لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي** [١]".

ثانياً : كما استدلوا بقوله – عز وجل – : " **لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** [٢]".

ثالثاً : تأولوا آيات الرؤية قاولوا قوله تعالى" **إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** [٣]" كما تولوا قوله تعالى:" **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** [٤]" فيقول الإمام الزمخشرى فى تفسير هذا تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم لأنه لا يؤذن على الملوك إلا الوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم إلا الأدنياء المهانون عندهم"[٥] .

رابعاً : استدلوا بدليل عقلى وهو أن الرؤية توجب كون المرئى محدثاً وحالا فى مكان .

وأجاب الجمهور على هذه الأدلة بما يلى:

أولاً : بالنسبة للدليل الأول وهو قوله عز وجل لموسى عليه السلام حينما سأل ربة الرؤية قال" **لَن تَرَانِي** [٦]" فقد أجاب الجمهور على هذه الآية من عدة وجوه.

الوجه الأول : أن موسى عليه السلام لم يسأل ربه المستحيل ، ولو كان مستحيلا لما سأل هذا السؤال.

الوجه الثانى : أن الله لم ينكر على موسى بالسؤال كما أنكر على سيدنا نوح عليه السلام حينما سأل ربة نجاة ابنه ، فأنكر عليه ذلك بقوله :" **إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ** [٧]"

---

[١] سورة الأعراف آية (١٤٣) .

[٢] سورة الأنعام آية (١٠٢) .

[٣] سورة القيامة آية (٢٣) .

[٤] سورة المطففين آية (١٥) .

[٥] الكشاف للزمخشرى جـ٧٢٢/٤ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام ناصر الدين أبى سعيد بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى جـ٥٧٨/٢ ط ١٩٩٩ – دار الكتب العلمية .

[٦] سورة الأعراف آية (١٤٣) .

[٧] سورة هود آية (٤٦) .

الوجه الثالث : إن الله – عز وجل علق الرؤية على شرط وهو استقرار الجبل فى قوله تعالى:" **وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي** [١]" فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلى فى هذه الدار فكيف بالبشر الذى خلق من ضعف .

الوجه الرابع: إن الله – عز وجل – كلم موسى موسى وناداه وناجاه ، ومن جاز علية التكليم والتكلم جاز رؤيته[٢].

أما دليلهم الثاني: وهو قوله:" **لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** " فهذا حجة عليهم لا لهم لأن الإدراك يختلف عن الرؤية ، فالإدراك هو الإحاطة بالشيء ، وقدر زائد على الرؤية فلما رأى أصحاب موسى – عليه السلام – قوم فرعون – قالوا" **إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**[٣]" فلم ينف موسى عليه السلام – الرؤية وإنما نفسى الإدراك فالرؤية. والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالله يُرى ولا يدرك [٤].

أما دليلهم الثالث : فهو تأويل : آيات الرؤية فأولوا قوله تعالى :" **إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** " أى منتظرة ثواب ربها .

ويرد عليهم بأن حمل النظر على الانتظار لأمر ربها أو لثوابه ولا يصح لأنه يقال نظرت فيه أى تفكرت ، ونظرته انتظرته ، ولا يعتدى بإلى إلا بمعنى الرؤية مع أنه لا يليق الانتظار فى دار القرار[٥].

وأما بالنسبة لدليلهم الرابع : أن الرؤية توجب كون المرئى محدثا فهذا من قصور التفكير البشرى الذى يقيس الأمور الغيبية بما ألفه فى دنياه ويقيس إلهه ومعبودة بالمخلوق الضعيف[٦].

---

(١) سبق تخريج الآية .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية صـ ١٩٢ .

(٣) سورة الشعراء آية (٦١) (٦٢) .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية صـ ١٩٣ .

(٥) تفسير النسفى جـ٢/٧٠٢ ، الكشاف للزمخشرى جـ ٤ /٦٣٢ .

(٦) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة جـ٢/٤٥٤ .

فمن خلال هذه الدراسة تبين لنا أن منهج أهل السنة والجماعة فى جواز رؤية المولى عز وجل فى الآخرة هو أفضل الآراء فقد جاءت أدلتهم قوية ومتعاضدة بالمنقول من القرآن والسنة والإجماع والمعقول فرؤية المولى – عز وجل – فى الآخرة لعباده المؤمنين الصالحين أمر مجمع عليه من السلف الصالح والخلف وأهل الحديث والفقه لا ينكرها إلا مكابر جاهل بأحكام الدين والشريعة .

وتبقي مسألة مهمة وهى هل رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ربه ليلة الإسراء والمعراج ؟ انقسم العلماء فى هذه المسألة إلى ثلاثة آراء :

الرأي الأول: ذهب أهل الستة والجماعة وهو مذهب السلف الصالح من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تابعهم والمعراج واستدلوا على ذلك بما أخرجه الإمام الترمذى فى الجامع الصحيح "أن أبا ذر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم – هل رأيت ربك ؟ فقال : نور أنى آراه[١]".

وقالت أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – من حدث أن محمد رأى ربه فقد كذب" ثم قرأت قوله تعالى :" **لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ** [٢]" ولكنها قالت : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم – جبريل مرتين على صورته[٣].

وأخرج الإمام الترمذى أن مسروقاً دخل على عائشة رضى الله عنها فسألها هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : لقد تكلمت بشئ قف له شعرى قلت : رويداً. ثم قرأت" **لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى**[٤]" قالت أين يذهب بك ؟ إنما هو جبريل من أخبرك أن محمداً رأى ربه فقد

---

(١) أخرجه الإمام الترمذى ٤٨ (كتاب تفسير القرآن ٥٤) باب من سورة النجم جـ ٣٩٦/٥ وقال أبو عيسى هذا حديث حسن .

(٢) سورة الأنعام آية (١٠٢) .

(٣) تفسير ابن كثير جـ٢٥٣/٤ .

(٤) سورة النجم آية (١٨) .

فقد أعظم الفرية ولكنه رأى جبريل ولم يره فى صورته إلا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة فى جياد له ستمائة جناح قد سد الأفق[١].

الرأى الثانى : رأى الإمام عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بفؤاده مرتين[٢] .

الرأى الثالث : ذهب بعض العلماء إلى الجمع بين الروايتين رواية أم المؤمنين عائشة ورواية ابن عباس . فعائشة أنكرت رؤية البصر وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد[٣] .

والراجع ما ذهب إليه سلف الأمة وأئمتها إلى عدم وقوع رؤية المولى عز وجل فى الحياة الدنيا وإنما الرؤية ثبتت للمؤمنين فى الآخرة .

---

[١] الجامع الصحيح للإمام الترمذى ٤٨ (كتاب التفسير) ٤ باب (من سورة النجم) جـ٥/٣٩٤ .

[٢] المرجع السابق جـ٥/٣٩٥ – ٣٩٦ .

[٣] راجع اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة جـ٢/٥١٢ .

الخاتمة

بعد الدراسة المتواضعة للصفات الخيرية عند علماء العقيدة ثبت لنا ما يلى :

أولاً : أن منهج السلف الصالح هو أفضل مناهج علماء العقيدة فى إثبات الصفات الخيرية التي أثبتها المولى – عز وجل – لنفسه كما جاءت في القرآن الكريم والسنة المطهرة كالاستواء على العرش والوجه والعين واليد والنزول والمجيء ، فقد أمنوا بهذه الصفات وتوقفوا عن التكييف والتشبيه والتأويل .

وقالوا إنما توقفنا عن التأويل لأمرين :

الأمر الأول: النص القرآنى جاء صريحاً بالكف عن التأويل فى قوله تعالى" **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** [١]"

الامر الثانى : أن التأويل أمر مظنون بالاتفاق والقول في صفات البارى بالظن غير جائز فربما أولنا الآية على غير مراد الله فوقعنا فى الزيغ[٢].

ثانياً : ذهب علماء الخلف إلى القول بتأويل الصفات الخبرية تأويلاً يليق بجلال الله – عز وجل – وقالوا لو تركنا الآيات على ظاهرها لوقع الجهلاء من الناس فى ورطات عقائدية فأولوا الاستواء بالاستيلاء أو الاقتدار كما أولوا الوجه بالذات واليد بالقدرة والعين بالرؤية والنزول بنزول ملك من عنده –سبحانه وتعالى– أو نزول رحمته . والمجيىء بمجيىء أمره .

وهذا المنهج رأيناه عند الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة والإمام الغزالى و به قال جمهور المفسرين كالنسفى و الزمخشرى، والرازى و البيضاوى والالوسى .

ثالثاً: انحرفت بعض الفرق الكلامية كغلاة الشيعة من المشبهة والمجسمة والذين شبهوا صفات المولى – عز وجل – بصفات المخلوقين وقالوا إن معبودهم على صورة ذات

---

[١] سورة آل عمران آية (٧) .

[٢] الملل والنحل جـ١/١١٧ .

أعضاء وأبعاض وأجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة وأن المسلمين المخلصين يعانقونه فى الدنيا والآخرة . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا فسبحانه وتعالى" **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** " .

والراجح ما ذهب إليه السلف الصالح من وجوب الإيمان بالصفات الخيرية بلا تشبيه ولا تأويل ولا تمثيل ولا تعطيل . فنؤمن بهذه الصفات ونثبتها لله تعالى كما أثبتها لنفسه فى القرآن والسنة ونفوض حقيقتها الله – عز وجل – ونضع نصب أعيننا قوله تعالى : " **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** [١]" وقوله تعالى:" **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ** [٢]"

---

[١] سورة الشورى آية (١١) .

[٢] سورة الصفات آية (١٨٠ – ١٨٢) .

المصادر والمراجع

١ – إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات للإمام شمس الدين محمد بن عبد المؤمن بن اللبان الشافعى خط– البيان العربى.

٢ – أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام آبى القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبرى اللالكائى ط دار طيبة الرياض.

٣ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل – للقاضى ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر ابن محمد الشيرازى البيضاوى ط– ١٩٩٩، دار الكتاب العلمية.

٤ – الاقتصاد فى الاعتقاد للإمام الغزالى ط ١٩٨٨ – دار الكتاب العلمية – بيروت – لبنان.

٥ – التفسير الكبير للإمام تقى الدين ابن تيمية ط ١٩٨٨ دار الكتب العلمية.

٦ – الجامع الصحيح للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ط– دار الفكر للطباعة – بيروت ، لبنان.

٧ – القاموس المحيط ط ١٩٨٧. ، دار الريان.

٨ – القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لمحمد بن صالح العثيمين ط ١٩٩٩ ، مكتبة العلم.

٩ – الكشاف لأبى القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشرى ط دار المعرفة للطباعة والنشر.

١٠ – المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية ط ١٩٩٩ .

١١ – الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى– المكتبة التوفيقية – الفجالة – القاهرة.

١٢ – تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام محمد أبو زهرة ط دار الفكر العربى .

١٣ – تفسير الفخر الرازى الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ط ١٩٨١ – دار الفتح العربى .

١٤ – تفسير القرآن العظيم لأبن كثير ، ط دار الحديث.

١٥ – جامع البيان فى تفسير القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، ط – دار المعرفة.

١٦ –روح المعانى لشهاب الدين محمد الأوسى البغدادى – مكتبة دار التراث الإسلامى.

١٧ –المسير فى علم التفسير للإمام آبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزى طيبة ١٩٨٤– المكتب الإسلامي.

١٨ –شرح العقيدة الطحاوية لابن آبى العز الحنفى ، ط ١٩٨٨ – المكتب الإسلامى.

١٩ –شرح العقيدة الوسطية لمحمد بن صالح العثيمين ، ط دار الدعوة.

٢٠ –صفوة التفاسير لمحمد بن على الصابونى ، طس– دار الصابوني.

٢١ – فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلانى –ط السلفية ، ١٩٧٨

٢٢ –فتح القدير لمحمد بن على الشوكائى ، ط دار الفكر العربى.

٢٣ –مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى، ط دار الكتب العلمية.

٢٤ –معالم التنزيل لأبى محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوى ، ط ١٩٨٧ – دار المعرفة – بيروت – لبنان.

٢٥ –لسان العرب لجمال الدين أين منظور ، ط دار الفكر العربى-